

# كيف الوصول إلى رضاك يا رب

قضية الشيخ عبد الحميد كشك

الملكة التوفيقية

للمذهب الألف - مدينتنا الحرة

بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأستسلي وأسلم صلاة وتسلية يليق بمقام أمير  
الأنبياء وإمام المرسلين . وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن  
سيدنا وتبيننا وعظيمنا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين . صل اللهم  
وسلم وبارك على هذا النبي الأمين وعلى آله وأصحابه الغر المحجلين وارحم  
اللهم مشايختنا ووالدينا وأمرأتنا وأموات المسلمين أجمعين .

أما بعد ...

فهذا كتاب قد اشتمل على أحاديث متنوعة تأخذ بأيدي السالكين إلى النجاة  
وتنفذهم من كثافة المادة إلى لطافة الروح . فالنحلة مطلب عزيز المثال ،  
قوى الهدف رفيع الشأن . فما أجمل أن يسأل الصحابي الجليل ، عبقة بن  
عامر ، وما أعظم أن يحيب مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية  
في بلاغة موجزة وإيجاز شيق ، قال : عبقة ،

ما النجاة يا رسول الله ؟ قال : « أمسك عليك لسانك . ولا يسعك بيتك .  
وايك على خطيئتك » : نعم ما أعظم أن يشخص الرسول الكريم ﷺ الداء  
وما أروع إناء وصف الدواء .

فالنجاة كلمات ثلاث ، لكنها في معونها لو صنعت إلى السعد ، كانت قمرًا  
منيرًا : وفي جمالها لو هبطت إلى الأرض لكسبتها ستندما وحريرا : وفي  
جلالها لو مزجت بماء البحار لجمته عنها قرانا سلسيلا . إنها تنقل بالإنسان  
من صلصال من حمار مسنون إلى نور يتنسم فيه الروحانيات الصافية : فيسلك  
إلى معارج القدس ليفتح على حقائق الأسرار ودقائق الأخبار حيث يفهم في  
مفردة صديق عند ملكك مقتدر . ﴿ فاستقبلوا الخيرات وسارعوا إلى مغفرة

من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴿  
[آل عمران : ١٣٣]

﴿وقل اعملوا فسمي الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى  
عالم الغيب والشهادة فينبهكم بما كنتم تعملون﴾ [توبة : ١٠٥] .

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾  
[يوسف : ٢١]

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم . .

فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك

### طريق النجاة

إلى الذين يرحون رحمة الله ويخافون عذابه ، وإلى الذين يتشدون ربهم - سبحانه  
وتعالى - لبدأ السعادة في الدارين ، إلى : ﴿الذين إذا ذكر الله وحس فلوهم .  
وإذا نلت عليهم آياته زادهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يفسون الصلاة  
وما رزقاهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق  
كريم﴾ [الأعمال : ٧٤] .

أخي المسلم :

إن تاريخ الأمة الإسلامية مع اليهود والصهيونية حافل بالمخاطر ، من بالأحداث  
الجسام ، مفروضة بالأشواك ، أحاطت بحانيه الأحرار التي آوت به العقارب  
والحيات ، إذ سلم السائر فيه من نهضة الثعالب ، فقد لاسلم لدغة العقرب : إنه تاريخ  
يصر بجدوره في باطن الأرض حيث عداة اليهود والصهيونية يسافر . إسلام الحنيف  
منذ فجره ، واليهود هم الذين وقفوا للدعوة بكيدون في طريق الناس ورحمة ، ويوم  
انصر المسلمون في عزوة بدر هاجت عقارب البغضاء في صدورهم وتحركت ثعابين  
العقد في مدرعهم ، وأرسلوا وفدا منهم رسول الله - ﷺ - ليقولوا : يا محمد !  
لا تغرنك إن كنت قد انتصرت على أهل مكة ، فأنهم لا يتقون من أفعال ، وأما  
إنك من تنكب عن طريق الجادة ، وبعد يده إلى كل عائر حائل من لحج البحار  
المتلاطمة . وإذا كانت الصهيونية تنجح ، ونصرح ولا تنوارى ، ونعبر أنها قامت  
على التوراة . فأولي بأهل الحق أن يقولوا لهم بدون مواربة : إنهم قاموا على القرآن ،  
والقرآن حق ! وجل جلال الحق إذ يقول في الحديث القدسي : «أنا عند ظن عبدي  
بى ، وأنا معه إذا ذكرنى : فإن ذكرنى في نفسه ، ذكرته في نفسي . وإن ذكرنى  
في ملأ ذكرتني في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب  
إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » . فالله مل رسل على  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

## القرآن العظيم وأثره في النحس

لما كان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، كان لزماً على كل من يدعو إلى الله على بصيرة أن يتخذ من القرآن روحاً تحيى في الأخلاء موتها ، وسوراً يبدد في كثافات ظلماتها ، فمن القرآن ربح الحياة ، وسور الهداية في وكذلك أوحى إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا هدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض . ألا إلى الله تصير الأمور ﴿ الشورى : ٥٠ - ٥٣ ﴾ .

والقرآن العظيم كتاب الإسلام الحالد الذي لا يلى بعده ، ولا تنفى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة تلاوته : يقول الله تعالى في هذا الكتاب العزيز : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ [ النور : ٣٥ ] ، ويقول عنه أيضاً : ﴿ قاموا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ [ النور : ٨ ] . ويقول عن رسوله العظيم : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ .

فتأمل يا محبي هذا النظام الفريد ، وهذا العقد الرباني العظيم : الله نور ، والقرآن نور ، والرسول نور ، والوظيفة التي نزل الكتاب ومنع أمير الألباء من إخراج الناس من الظلمات إلى النور : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [ إبراهيم : ١ ] .. مهدة الأمة الموقوفة بها هذا الشرف العظيم ، المنزل عليها هذا الكتاب الكريم ، واحب عبداً أن تعب في هذا النور لتأخذ مكانتها فوق قمة الملك لا باذخ العلياء ولا يلبق بها أن تليد عنه أو تصغر خدما له ، فتتحد إلى قلوب الدجى وغيايب الظلمات وحضير العراء وتحيط عشواء في ليلة ظلماء .

يقول سيد الخلق وحبيب الحق : ( كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم ، ثم تلا نوله تعالى : ﴿ أولئك يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتل عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ [ النكبات : ٥١ ] .

إنني أحط هذه السطور والتكريات الجديدة تتراب أمامي في موكب المقدسة به . وحده القرآن هذه الأمة ، وجمع شملها ، وقوى بنائها ، وأزال ما بها من شقاق ، ووقف بها على أركان مودة والوفاء : يوم كان أسلم يتلى في أسفاره في بلاد ترفرف عليه راية التوحيد ، ويوم موت مكة ذراعها إحداهما إلى فوس ، والأخرى إلى دعي ، ويوم كان القرآن قد أزال الخواجر وموانع الوهابيل ، كان أسلم في شموله وترجائه وهو في وصوده من نفس بلاد الإسلامية إلى أمصاها ، يمكن يستوفيه شرعي يطلب منه حوار الحرور أو ناشرة النحس والخراب ، لأن هذه الأرض التي كان يسير عليها أرض أشرف بها سور التوحيد ، وإرتفع عليها لواءه ، ودرجت فوقها ربه :

الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفأ

وإن بحرس البوء أن أرى الفرقه ضاربة أعلام بين شعوب أمة الإسلامية في سباق الأرض ومعربها ، في الوقت الذي نسمع فيه هذا التصريح اعطير لأحد المشركين في إسرائيل والذي يقول فيه : إن لاسرائيل مطالب اقلية وديية في أكبر من الأرض التي احتلتها لأن إسرائيل قامت على ذمة مقومات :

١ - لقوة ٢ - الشعب اليهودي ٣ - أرض الميعاد

فهذه الأركان لأمة الإسلامية أن تخلص عن نفسه عوامل الضلال والفرقة ، وتنبذ ما جبت به من حظوب مذمومة ، وتغن القسبة القذبة المذمومة ؟

أما أن أمة القرآن أن تكره هذا الكتاب وتستعصر بهديه ؟ وإن من غيبا في سطور تاريخ واستغفراً صفحاته ، لوياً أن هذا الكتاب بكرم كان اسمه نبي تأخذ به المسلمون في جميع الميادين ، وتدفع به إلى القصد المستقيم ، نعم : لقد شكروا ما جاء به ولزموه ورثوا آياته وعموا بها ، فكثروا في سلمهم وحرهم صادقين مع كتاب الله كانوا في سمهم قرأنا يمشي بين الناس ، غرا القرآن قلوبهم بسوره ، وأساء بيوتهم بكواكبه القدسية ، حتى كان أسلم إذا دخل بيته سأله روجه : كم مررت اليوم من القرآن ؟ وكما حلفت من حديث رسول الله ﷺ ؟

سؤالان تشار بهما الزوجة عندما تفتح الباب لزوجها حتى لا يغيبها شرف الوقوف على ما نزل من نور السماء ، ليتعمل بأرض الصحراء ، فيبيت فيها ويشعر ، ثم تفرق ذلك بالسؤال عما جاء على لسان البشير المذير محمد ﷺ من الهدى ، فقد علمهم

كشاك الإنسانية الأكبر أن ينقلوا ما جاء عنه كما سمعوه منه ، ودعا لهم بالنصرة حيث يقول : فخر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها . ثم أداها كما سمعها . فرب حامل فقه ليس بفقيه .

كان المسلمون في حريمهم - كما وصفهم قائلهم - فرساناً بالهوار ، رهيباً بالليل ، هم ذوى كبدوى النحل . فكانت قوة الكتاب في صوره تبعث الرعب في قلوب أعدائهم ، وكان نور القرآن في أفئدتهم يضيء في الفريقت إلى مكاسم الأعداء . فيمكنهم من إقامته . حتى لقد وقف هرقلى في مدينة أنطاكية أكبر مدن الإقليم شرقى في إمبراطورية الرومانية - وقف يلقي هذا القول الحثي عن أسراع كبار فؤاد جيشه يلمس منهم الخواب السالي ، بعد ما فرغ صرره ، وغلا مرجل النبط في قلبه . ثم انصرف قائلاً لقواد جيشه : من هؤلاء الذين يتبارونكم ؟ أشعر أم ملائكة ؟ وبقيت السميت الرهيب عن قادة الرومان ، فيطلب منهم الخواب بصرحة ، يقوم أحدهم فيقول : إنيهم ستر بامبدي ولكنهم يسمون النهار ويقومون الليل ، لا يمشون الخمر ، ولا يلمعون القيسر ، نحمل عليهم فيصرون ، ويحاربون غلب فيصغرون ، أمس محمل غلبهم فلا يصدق . ويحملون غلباً فلا تغبر !

تصف هذه الإجابة إلى سمع هرقلى عظيم الروم ، وتعمل في نفسه ، فربح رأسه قائلاً لقواده - والمرارة تملأ عليه أظفار وجدانه : من كانوا كما فقد فيمكن موضع قادمي مرتين : ولقد كان ما قاله هرقلى أمراً واقعاً : صفد حمار النيو الذي جعل مع المستعوز من لبحر الأحمر والبحر الأبيض حيرتين صغيرتين تحركان في أرض الإسلام وترغرف عنهما ربة القرآن ، وما السر في هذا ؟ لقد أعيد الله على نسب وعداء - ووعد الله لا ينفذ - ﴿ إنا لننصر رسلاً والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [نور : ٥١] ، وأكد في كتابه هذا الوعد فقال : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ [نور : ٤٧] . ثم بين كيفية هذا النصر وفصل لمن يكون ، فقال : ﴿ إنا لله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين

إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله خافية الأمور ﴾ [الحج : ٤٨] .

فوالله لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد ، ولو أرمنا لفرمت راية التوحيد خفاقة على كل بلد أمانة الإسلام : إذا كان الكون قرأنا صامتاً ، فإن القرآن يكون ناطقاً فتكونوا أنتم قرأنا تمشي بين الناس : يرشد الضال ، ويهدي .

لو فارقنا لعالمنا كيف تكون الحرب ! نعمهم يقاتلوا يريدون أن يفتروا الحرب النفسية بسموهم لتفعل فعلها في صفوف المسلمين . ولكن ما لبث القرآن الكريم أن حسم الشوق بكرة . ونفسه بعف ، وهذا إنداز مرل به صغير الأنبياء حيريل عليه السلام ، يرد القرآن به على أولاد الأفاعي : ﴿ قل للذين كفروا ستعذبون وتخشون إلى جهنم . ومن المهاد . قد كان لكم آية في فتنة الثنا فلة تقاتل في سبيل الله ، وأحرى كفرة يروهم مطلبهم رأى العين ، والله يزيد بنصره من يشاء . إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ [آل عمران : ١٢] .

إن ما فعله يهود بنى فيضج . وما معه يور النصر وهو قريظة من مؤامرات لا تخفى على أحد ، وما قام به عبد الله بن سبأ - اليهودى حتى تدهر بالإسلام وقد كان رأس الفتنة التي اندلعت بارها قتل الخليفة صفري عليه ، غلب ابن عفان وحسب الله عنه ، وما جث الفتنة بعد مقتله موج البحر تاكل الأحصن ويهيس ، والذي أثارها وأشعل نارها هو ابن سبأ ، ذلك الذي عسل شيطان في رأسه . فباص الفتنة روح الشقاق والفرقة ، إنه من المشامير على أمة الإسلام ويصدق فيه قول الحق جل وعلا ﴿ لنجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا . اليهود والذين أشركوا ﴾ [ثائفة : ٨٠] .

ويجد هذا العداء مع الأهم حيث تريد قوى شر أن تطمئن حور الله ماؤها . إن الحقائق تثبت ، والوثائق تؤكد والشارح يشهد ، أن الصهيونية العالمية التي أقامت دولة إسرائيل في الشرق الإسلامي ، تريد أن تفت أمة الأمة الإسلامية شامرة السلاح ووجهها . فلقد صرح الصحفي الصهيوني المسوى هيرزل - قديماً بتصرح قال فيه : إن قيام دولة لليهود في سوريا أو فلسطين تكون امتداداً للحضارة العربية ، وحصناً ضد المسيحية العربية .

إذا كان هذا التصريح قد مضى أكثر من نصف قرن ، فإنه بالعمل المتبع من جانب هذه القوى ، قد أصبح ما قبله هينئزل وأمرأ واقعا . فقد قامت إسرائيل ، وقامت لليهود دولة .

ولست أنسى هذا الموقف لبعض قادة إسرائيل لما دخلوا بيت المقدس بعد الحرب الأخيرة في يونيو ١٩٦٧ حيث قال وهو في بيت المقدس : الآن نكون قد تأوينا لأجسادنا في خير . وهذه الكلمة إذا تعرب عن نفس النفوس على لاقطام والتأثر ، لا تعرف إلا منك الدمعة . ولأننا إلا بلغة مدح : نفس لانسى الأحقاد . ولا تنسى الأعضاء .

ألا فلتعلم الأمة المسلمة أن عدوها ما كر وخبيث ، وغناها أن تذكر قول رسول الله ﷺ : « إن جبريل أخبرني أن أمتي عظيمة ، قلت : فما المخرج ؟ قال : كتاب الله وهل هناك ما يعصم الأمة من الاختلاف إلا أن تعمل بكتاب وبها ؟ » إنه التصح العظيم من رسول الله ﷺ ، ونوحه كرم . يريد أن يقدمه لكل من أراد أن يذكر ويعتبر على كتاب الله هذا الهدى الخالد : هو واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكذا على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولكن مكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويهتدون عن المكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ﴿ آل عمران : ١٠٢ - ١٠٥ ﴾ .

ألا فلتعلم الأمة الإسلامية نصيبها هذه الصيغة السوية الشريفة ، وهذا السمة الأبدية . فإن الرسول صلى وصفه به بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عمن ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ والذي سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن وضعه في السوراة قال : والله إنه لموصوف في السوراة ببعض صفته في القرآن حيث قال الله عز وجل : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز للمؤمنين . ولا تخاب في الأسواق ، ولا تدفع بالسنة اليانة ولكن بعثو ويعفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله . فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفاء . .

هذا الرسول الذي نبئت له هذه الأوصاف لما سأل جبريل عن مخرج من اختلاف زعمه قال له : كتاب الله . نفس لك لهداء يا رسول الله :

كيف ترقى رفيك الأنبياء باسماء ما طاولها سماء  
م يدانوك لي أعلاك ، وقد حال ساء منك ذوقه وسواء  
كما مثلوا صفاتك للسا من كما مثل النجوم الماء  
لست مصباح كل فضل لما تصدر إلا عن ضونك الأصواء

هو الذي علم الشعلون ، والبهيم الذي بعث الأمل في قلوب مسكين ، وأعدى حتى ود صفة العالم اختارة في حضم الحبط ومعترك الأمواج ، إن شطىء الله رب عتير ، في مكارم الأخلاق وحميد السحابا ورفع السمائل مادي عن شربة قاتلا ، وإن لي أجنة عرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لمن طيب الكلام وأدام الصيام . وأطعم الطعام وحل بالنيل والناس بهم .

فألههم ربما اتباع هندي كتابك الكريم وسنة رسولك الحبيب حتى نتصور عن أحداثك أم ، الدين وتبع صرامك المستقيم ففيه النجاة يوم الدين . وحلى الله وسمة في الشير خير المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين .

## القانون الإلهي العادل

ليس شيء أعظم من هذا الإحود من اتباع هدى الله ، والمسير حسب تعاليمه ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَمْ وَصَايَاكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [ الأنعام : ١٥٣ ] .

ومصادر الهدى الإلهي قطعية الثبوت ، معصومة من الخلفاء ، وإذا كانت رسائل المرفقة مختلفة ، وطرقها متعددة : بعضها راجع إلى المثل ، وبعضها مبني على الحواس وبعضها طريقاً للوحي - فإن ما بُني على العقل والحواس لا يبعد العلم اليقيني ، أما ما كان طريقه الروحي فإنه يقيني قطعي .

ولقد نعى القرآن الكريم على الذين يتركون طريق الوحي متبعين غيره ، فقال : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هِيَ إِلَّا ظَنٌّ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ [ النجم : ٢٣ ] . ويقول : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَصِفِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ، فَأَعْرِضْ عَنْ قَوْلِي عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، ذَلِكَ مُبْغِضُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنْ رِيبَكَ هُوَ أَتَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴾ [ النجم : ٣٠ ] .

وإذا كان من المسلمات المنطقية أن العدد إما زوج أو فرد ، ومن المسلمات الهندسية أن مجموع زوايا المثلث تساوي زاويتين قائمتين ، وأن الخط المستقيم أقرب صلة بين نقطتين ، فإن من مسلمات القرآن : هذا القانون الخالد ، الأول الأبدى ، وهذه القضية العادلة التي حكم بها الله من يوم خلق آدم وحواء إلى هذا الكوكب وإلى يوم أن يرمي الله الأرض ومن عليها : إن هذا القانون يوضحه هذا المشهد القرآني الخالد بالوان الخلد والمظلمة ، المبين للحظ الذي وقف على أوله آدم أبو البشر ، والذي يقف على آخره الملك الموكل بالنفخ في الصور ، وإنه لحظ ذو مواقف مختلفة ومراكز متدرجة ، وكأنه سلسلة متصلة الحلقات متشابكة الوقائع : يقول جل شأنه في شأن آدم : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى . قَالَ ابْطَأْ مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . فَأَمَّا بَاقِيَهُمْ مَنِ هَدَى . فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنْ

لَهُ مَعِيشَةٌ صَكَا . وَغَشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبُّ لَمْ حَضَرْتَنِي أَفْعَمَى وَفَعَلْتُ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى . وَكَذَلِكَ نُغْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشْدُّ وَأَبْقَى ﴾ [ مريم : ١٢٧ ] .

هذا قانون الله العادل الذي لا يتخلف أبداً ، ولا يراه في صدقه ، وهو حكم الله التقدير ، ولا مغيب لحكمه ، قوله الحق وله الملك : ( فمن اتبع هدى الله فلا يضل ، ولا يشقى ) ، وأين نعلم على هدى الله ؟ وكيف الوصول إلى هداى ؟ إنه صدى السؤالين نجد من قد أحاط عليهما القرآن إجابة صريحة واضحة :

فمن فاتحه الكتاب العزيز ندعو الله كل يوم سبع عشرة مرة على ذكر في صلوات قائمين : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [ الفاتحة : ٦ ] وهذا أعظم سؤال وأبعد غاية . فأتين بعد مداية إلى الصراط المستقيم ؟ إن القرآن يحجب على هذا في سورة البقرة التي تلي سورة الفاتحة بقول : ﴿ الْهَدَى . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [ سورة : ٢ ] ، فليشور على هذه المداية في هذا الكتاب . والوصول إليه بالوقوف على حيثيات هذا الحكم ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَوَّلُكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِ . وَأَوَّلُكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ ﴾ [ البقرة : ٥ ] ، وحيثياته تتجلى في قوله جل شأنه سبحانه مبيناً كيف استقر تأهب ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [ سورة : ٢ ] .

إن اتبع هدى الله يكون يائناً وحبه المنزل على رمله ، ووحى الله سره على سبيل إرساؤه هو القرآن والسنة . قال ﷺ : « أوتيت القرآن ومثله معه . »

ولقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : يا رسول الله إذا سمع من يهود أحاديث تمجنا ، أمكذب بعضها ؟ قال : « نعم الأسماء الأعظم » . « أمته كون أنتم كما يهركت اليهود والنصارى ؟ لقد جنتكم ببضياء نقية . ولو كان أخفى نوري حيا ما وسعته إلا انبأني » ! فأمل معي كيف كان اتباع الهدى باتباع شرع الله المستل في كتابه الكريم وهدى رسوله العظيم ، وإن في اتباع ذلك الهدى عن الضلال والشقاوة : ثم ارجع البصير في قوله جل شأنه ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ صَكَا وَغَشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [ مريم : ١٢٧ ] .

صحف إبراهيم عليه السلام

في مسيرته على طريق الحق تسجل ذلك الحدث الجامع من التوحيدات الإنسانية النبوية الشريفة : حيث وقف فيه أبو ذر موقف السائل العثمري ، ووقف مع المجموع رحمة للعالمين موقفه المحييب العثمري ، وأما نسوق هذا الحديث إلى معنى الكرم بغيره ، كما فيه من ألوان الحلال والعقلية :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : ما كانت صفة إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها ، أيها الملك السلط المثلث المغرور : إلى : عليك لتجيب الدنيا بعضها على بعض ، ولكني بعثت لرد عن دعوة المظلوم . وإن لا أردوها . وإن كانت من كافر . وعلى العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له ساعات : فساعة ياجي فيها ربه ، وساعة يجاسب فيها نفسه ، وساعة يفكر فيها في صنع الله - عز وجل - ، وساعة يخلو فيها لحاجاته من الطعام والمشرب . وعلى العاقل ألا يكون ظاهراً إلا لثلاث : تزود معاد ، أو مومة لعاش ، أو لدة لغير محرم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً لسانه . ومن حسب كلامه من عمله ، قل كلامه إلا فيما يعنيه .. . قلت يا رسول الله : تمت صفة موسى - عليه السلام - ؟ قال : كانت عبراً كلها : عجيبت لمن أبلس بالموت ، ثم هو يفرح ! عجيبت لمن أبلس بالنار ، ثم هو يضحك ! عجيبت لمن أبلس بالقدر ، ثم هو يصب ! عجيبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ، ثم اطمأن إليها ! عجيبت لمن أبلس بالخصاب غداً ثم لا يعمل . قلت يا رسول الله أنصني . قال : أنصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله . ... قلت يا رسول الله زدني . قال : عليك تلاوة القرآن . وذكر الله - عز وجل - ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء . ... قلت : يا رسول الله زدني . قال : إياك وكثرة الضحك ، فإنه يمتد القلب ويذهب بنور الوجه . .... قلت يا رسول الله زدني .. قال : عليك بالجهاد . فإنه رهبانية أمي . ... قلت يا رسول الله زدني . قال : أحب المساكين وجالسهم . قلت يا رسول الله زدني . قال : انظر إلى من هو تحتك ، ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإنه أجدد

دقيقة نجد كيف كان الفرق شامعا ، والبول بعيدا ، وهوة سحيقة ، عندما نصل مشارف  
إلى الموقف الأول - وهو اتبع الهدى - نجد نفسك تنزع إلى قمة تضاء ، تتجعد الرقاب  
عند ذراها ، عندما ينظر الإنسان إلى الموقف الثاني - وهو الإعراض عن ذكر الله -  
يشعر كأنه قد هوى إلى هوة سحيقة ، يتعمقل في دوامة غيبة ، أو كأنه يهوى في عتمة  
بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، عدا لأن الله لم يجعل له نوراً ،  
ومن كان شامعاً كذا في فضله من نور ، والنتيجة في كل عتمة ، حيث لاضلال ولا  
شفاة عن من اتبع الهدى ، وإنما هداية وسعادة في الدار والآخرة : والنتيجة في الموقف  
الثاني : الحيرة العكس في الدنيا ، وعلى وحيرة في آخر يوم يقوله الناس لرب العالمين ،  
وهذا الجرم .

فإنهم - يستعيت ونستهلك ، ونستغفر وننسى الجث - وثمن بت وننسى  
عليك ونسى غلبت الخير كنه ، شكرك ولا نكفرك ، رجع ونرك من ينكره ، المنه  
إياك تعبد بالث نسل ونسجد ، وإياك نسجي ونعطر - رجو رحمتك ونغشى عذابك ،  
بت عذابت لحد - نكدر ملحق ، واصل الله على سيده محمد وعلى آله وصحبه وسلم



أن لا تردوى نعمة الله ، ... قلت يا رسول الله زدنى . قال : ، قل الحق وإن كان مرأى . .. قلت يا رسول الله زدنى . قال : ، ليردك عن الناس ما تعلد من نفسك . وتجد عليهم فيما تأتي ، .. ثم ضرب بيده على صدرى فقال : ، ياأبا ذر : لا عقل كالديبر ، ولا ورع كالكلب ، ولا حسب كحسب الخلق ، رواه ابن حبان وإسحاق .

جراك الله عما ياميدنى يا رسول الله خير ما حازى سبأ عن أمث ؟ حقاً : لقد بلغت الرسالة وأدبت الأمانة ، وجاهدت في الله حق جهاده . وصبرت على السلاء ، وتعملت الغصاء .

أرأيت بما أحمأ الإسلام إلى هذه المائدة النبوية الشريفة الحافظة مألوان العلاء الروحى الذى يرقى بالنفس من مدارج النحال إلى مهابها إلى مسابح الأملاك ؟ أراحمها ؟ ثم أتمعت كيف تدرج الصالحى مع الرسول من صحف إبراهيم إلى صحف موسى ، ثم وقف أمام المنهل العذب يسأل رسول الله - ﷺ - أأ يرضه ؟ ثم أرأيت كيف يستريده رسول الله - ﷺ - في الوصية ؟ إنها ساعة السعادة وخفة العمر المباركة ! وهى هناك في لحظات الحياة أسعد من أن يسأل الإنسان - رسول الله - ﷺ -

ثم أرأيت إلى جوامع الكلاء وإلى الحكمة تساب من فم رسول الله - ﷺ - كالنور المنور ، لتأتلى أمام المسلم كأنها هالات النور ، ويتصوّر من أوجها كأنها باقات العطور ، وليلقى الله بها كأنها أكابيل النور ؟

انظر إلى الرصايا الخالدة وكيف أن سيد الحق وحبيب الحق يرمى - أول ما يرمى - بنفوى الله . ثم يحكم على النفوى بأمر رأس الأمر كله ، وما النفوى إلا الخوف من المليل ، والميل بالثقل ، والرجس بالقلب ، والامتناع ليرة الرحمن . وهى كلمة جامعة مانعة : عسى انفى الله خائفه ، ومن خاف الله عرفه ومن عرف الله امتثل أوامره واحسب نواحيه ومن خاف الله خافه كل شئ ، ومن لم يخف من الله خاف من كل شئ .

وإذا كانت مقومات النفوى أربعة ، وهى : خوف وعمل ، ورعا ، واستعداد ، ناسب ذلك أن يحافظ الإنسان على هذا الكثر الثمين ، بلاوة القرآن العظيم وذكر الله الكريم . وليس الذكر كلمة تلوكتها الألسنة ، أو نسيها الشفاه ، ولكنه وثيقة تستل في سبعة ألعاء : فذكر المئين البكاء ، وذكر الأذنين الأصغاء ، وذكر اليدين العطاء ،

وذكر اللسان الثناء . وذكر اليدين الوفاء ، وذكر الروح الخوف والرجاء . وذكر القلب التسليم والرضاء .

والذكر الصحيح مفروق بالتفكير ، فالذكر بلا تفكير كلمات جوفاء . والتفكير بلا ذكر أعمال بظواهر ولذلك جاء وصف أول الألباب في كلام الله تعالى مشتملا على الذكر والتفكير ، ذر تجل شأنه : هو إن في خلق السموات والأرض وحلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم . ويتفكرون في خلق السموات والأرض . وما ماخلفت هذا باطلا . سبحانه فقد عذاب الماركة .

فالتقوى وثلاثة قرآن والتذكر : كفى أولئك طهرة للنفس ، وتزكية للقلب ، ونور للإنسان في الأرض وبخبره في الملأ الأعلى ، ليجبى في مقعد صدق عند مليك مقتدر . إن هذه المعاني بالها قد لا من اتبع رضوان الله ، وسار على هداه . وهذه المعاني نهضت أمة الإسلام تاهل من مباحة العاصفة ، لتأخذ عطف وافر من قيمة الباقية ومن أرفعة عدية . مرة أسير وبشاشة الإجماع إذا تمكنت من القلوب تكاد تعمل المستحجب شكرا ، وتطرح دأرج عيب مرأى منعا لتشاربين .

ميت حين يور هذا شعبدات صهوره ، يقبلون على دين الله ويسروبه وراء هدى رسول الله ! ولينك حافين عن هذه الحقيقة المرة يعصون عن أنفسهم نيب الكرى لقد قدمت لليهود ذرية صموها بإسرائيل ، لسه دهنى يجمع شملات المنفرة من الفئران الخمس . وكان أول من دنى بقيام هذه الدولة الضعفى الضعوى الضعوى هورتول راجعت أمى هذا الحديث الذى در بين اليهودى العجوز ( بن حوريب ) وبين هذا الأديب الأمريكى ( هرومبولك ) رابدى بشرى كتاب تحت عنوان : هذا ردى . وقتل من حوريب : ذهب الأمريكى يسأله : كيف يمكن لليهود أن يقدموا لما في العالم كله ؟ وأجاب الأمريكى قائلا : عن طريق الدين ، فقال بن حوريون : هذا هو الطريق الوحيد .

فأمن : كيف تنقى هؤلاء المنفرة المنفرة المشنون ، وكيف أصبحت لهم وجهة واحدة ؟ وكيف تسكر بشيء واحد ؟ ما الذى جمعهم وقارب بينهم ؟ إنها التوراة !

لقد أحس اليهود أنه لا وطن لهم إلا هذا الكتاب . ولا سباح لهم إلا هذا الكتاب ،  
وهو يهريون به ، ويهريون إليه . فما بالنا نحن المسلمين نهرب من كتابها وهو خير كتاب  
جاء به خير نبي إلى خير أمة أخرجت للناس إذ تمسكت بالقرآن العظيم واتبعت هدى  
النبي الكريم وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر . .

- هذا هو طريق السجادة وصديق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت  
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [ آل عمران : ٢٥٦ ] .  
فاللهم اجمع رايثنا بالقرآن ، ووحّد صفوفنا بالقرآن واهدنا إلى طريق السجادة بهدى  
أخيبي المصطفى ، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### طريق المسلمين الأوائل

لقد انخرنا فيها المسلمون عن طريق الجادة والصواب وأصبحوا كالقنبرة التي  
تندفع الأتربة إليها ، ليس من قلة ولكن من كثرة كثفاء السيل . عسى أن هؤلاء  
اليهود المنقرضون لم يقرضوا شيئاً - أصبحت لهم وجهة واحدة وأمسكوا بشيء واحد  
هو التوراة جميعهم وقرب بينهم وأحس اليهود أنه لا وطن لهم إلا هذا الكتاب  
وإنك أحيى المسلم لتأخذك الدهشة ويسئولي عليك العجب عندما تسمع أن عقيدة  
اليهود هي إسرائيل - التي يتجمعون حولها - هي قولهم : إن الدين الذي أبقى عسى  
الآباء والأجداد . هو الذي يبقى على الأبناء والأحفاد .

ولقد يزداد عجبك وتشتد دهشتك إذا ما اطلعت على هذه الحفنة المرة ، والتي  
توجد في رسائل التربية والتعليم في إسرائيل : فالطفل في سن الثامنة يتعلم العبرية .  
وفي سن الثانية عشرة يقرأ بتوراة عبرية ، فإذا ما بلغ أربعة عشر عام حدثت الحكمة  
والأمثال من التلمود ! وجملة أقول أن شدة الأفاق من الصهيونية والمعرفين  
والمشردين وبغات البشر المنقرضين في أنحاء الأرض جمعتهم التوراة ، وألف بينهم  
الدين ، وأقمروا لأنفسهم دولة في الشرق الإسلامي لم يسموها دولة ، وإنما  
ولم يسموها سكة من جوربون ، أو غيره ، إنما سموها باسم نبي هو يعقوب بن  
إسحاق . سموها إسرائيل اسم ديني ، اجتمعوا تحت لونه : لقد كانت الأحلام منذ  
عشر سنوات تراءت ، من جوربون ، أن يضع يده على شبه جزيرة سبأ ليجمع منها  
حدوداً آمة لدولة الصهاينة : لقد تحولت هذه الأحلام إلى أمر واقع بقوة الحديد  
والنار : ولكن الكلمة الأخيرة لن نكون لمندفع إسرائيل ، وإنما ستكون لأهل الحق  
عندما يعتزلون بدين الإسلام ويرفعون راية التوحيد عالية خفاقة : هذا الدين الذي جعل  
سعد بن أمية وقاص يدخل القصر الأبيض - قصر كسرى - وينكت البساط بسهمه  
ويقل قوله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم . ونعمة  
كانوا فيها فاكهين . كذلك أورثناها قوماً آخرين ﴾ ثم يأمر بالأذان في قصر العلفيان :  
فيقف المؤذن في يمين من أبياء القصر ، ويرفع الأذان إلى الله وتدوي كلمات التوحيد

إلى عنان السماء وكان في القصر نار تعبد من دون الله فيها هو الأثران يعلن أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وهذا هي النار تشهد على الذين عبدوها بالسفاهة والضلال ، وبقرة الإسلام وعزته تطفأ نار الشرك بعقيدة التوحيد .

إن سعداً هذا قبل أن يتحرك بالجيش وقف بالمدينة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب يقدم له ولجيشه النصيح ، فماذا قال أمير المؤمنين في نصيحته الغالية ؟ قال لسعد : يا سعد بن وهب : لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يحجو السوء بالسوء ، ولكنه يحجو السوء بالحسن ، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعة ، فالتناس شريفهم ووضعهم في ذلت الله سواء : الله ربهم وهم عياده ، يتفاضلون بالعالية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ يفعله منذ بعث إلى أن فارقتنا ، فالزومه ، فإنه الأمر : هذه عظمتي إليك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

وعندما تاهب للانطلاق إلى العراق بالجيش قال عمر لسعد : إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كرهه لا يخلص منه إلا بالحق ، فعود نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به ، وأسلم أن لكل عادة عادداً ، فمتاد الخير العسر ، فالعسر العسر على ما أصابك أو نابتك فتجمع لك خشية الله وأعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه يعض الدنيا وحس الآخرة ، ومعصاه من عصاه نجس الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق يشهدها الله إن شاء ، نجتبا السر ، ومنها العلانية : دأب العلانية فإن تكون حامدة أو ذامة في الحق سواء ، أما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمجيئة الناس ، فإن تزهدهم التعجب فإن البين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً أحبه إلى خلقه ، فاعتبر منزلك من الله بمنزلك من الناس ، وأعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك .

ولما استعد الجيش للتحرك . وقف عمر رضوان الله عليه بوجه إليه نصائحته القياسية بالإخلاص وقوة اليقين ونور الإيمان . فماذا قال ؟ قال رضى الله عنه : « إن الله تعالى ضرب لكم الأمثال ليحصى بها القلوب . فإن القلوب مينة في صدورهم حتى يعبها الله . من علم شيئاً فليستغفر به ، وإن للعدل أمارات وتبشير : فأما الأمارات فالحياء والسخاء واللين ، وأما التبشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمراً ذليلاً ، وبسر لكل باب مفضاه :

فباب العدل الاعتبار . ومفتاح الزهد . والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتدبير الأعمال ، وتوهداً الحق من كل أحد قبله حق . وتأدية الحق إلى كل أحد حق . ولا تصارع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفي من الكفاف ، فليس لك بكفة كفاف لم يفته شيئاً ! إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أقرمني رفيع الدعاء به ، فانبها سكانكم إلينا ، فمن لم يستفتح فإلى من يلعبه ، فأخذ له الحق غير متنع .

وبهذا النصيح وتلك التوجيهات لحاض سعد « المعارك الحامية الويس ، وينصر من أنه توجراً كل المعارك . ولما أنه الله عليهم نعمة النصر . أرسل القائد عروب والغنائج العظيم سعد إن أمير المؤمنين عمر رسالة يشبه فيها ينصر الله ، تنفاطر نوراً ورحمة : قال سعد يصف الجنود والقواد

« يا سعد ، فإن الله نصرنا غر أهل فارس ، ومنحهم سنن من كان قتلهم من أهل دينهم بعد نال طويل وزلزال شديد : وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير ثمانيون مثل زهائهم . فلم يعمهم الله بذلك ، من سلبهم إياه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمين على الأمان وغير طفوف الآجام في الفحج وأصيب من المسلمين فلان وفلان ، ورجال من المسلمين ما علمهم الله بهم علم ، كانوا يدرون بالقرآن إذا جن عيب الليل دوى النحل . وهذا ساد الدس لا يشبههم الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذا لم يكتبه »

هذه كلمات قائد عظيم في سبيل إعلاء كلمة الله ، ورفع راية التوحيد ، انتصر لأنه آمن بالله إيماناً راسخاً يصدق أنه وعد حيث قال جل شأنه : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ [ الروم : ٤٧ ] .

فإذا كان يهود يعتقدون أن عوراه هي القلب الشديد الجذب الذي يجذب الفضائل ويجمع الشارد من حوله ، فالأولى بنا والأجدد بأمة الإسلام أن تجمع القلوب حول الكتاب الحق . والإمام الذي يهدي النفوس الشاردة ، والأولى بنا والأجدد أن نلتف حول مأذبة الله . حول مائدة القرآن العظيم : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ [ الإسراء : ٩ ] . هذا هو صريق النجاة ، حيث لا ضريق غيره ، إنه طريق الحق والخير والنور .

فألهم أهدنا وساد خطانا واجمع شملنا ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

إذا كان هؤلاء الصهاينة يجمعون حول التوراة ويقاتلون باسمها - وهم قلة أنبياء الله ، ومنبروا كتيبه ، ومحرروا الكلم عن مواضعه - فأولى بنا وأجدره معاشر المسلمين أن تكون أمة قرآنية تتجمع حول القرآن وتتخلق بخلق القرآن ، وترفع راية القرآن عالية خفاقة ، فهو حبل الله المتين وسوره المبين ، والهادي إلى الصراط المستقيم - والناس من حيث القرآن أربعة أقسام ، تدور حول القراءة والعمل ، يذكرهم الرسول الكريم ، ويضرب لكل مثلا يأخذ بالألبياب فيقول : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأثيرة : لا ريح لها ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة : لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الرخانة : ريحها طيب ، وطعمها مر .. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنزيرة : ليس لها ريح وطعمها مر » .

إن التجمع حول القرآن هو تجمع بين أخوة المسلمين لأهم سبعاصلون من مطلق العقيدة الإيمانية التي تشع نورا يهذب نفوس الناس ويحسن أخلاقهم فالأمة القرآنية تتخلق بخلق الله وتتأدب بأدب رسول الله ﷺ القاتل : « أدبني ربي فأحس ناديه » والذي أخبرت عائشة عن خلقه فقالت : كان خلقه القرآن وقال صلوات ربي وسلامه عليه : « ليس شيء لي الميزان أثقل من حسن الخلق » . وأنها في سبع الزمان مدونة بخلقها : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » .

أو ما رأيت إلى الرسول ﷺ يعلن هذه الحقيقة لأصحابه ذات يوم فيقول : « ألا أخبركم بأحبكم إلى الله قننا : بل يا رسول الله » قال : « أحبكم إلى خلقه » ؟ .

ثم ألا سمعت وهو يكرس هذه الحقيقة في قوله : « حسن الخلق يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد ، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » .

واعلم بأنني أن أحيانا إلى رسول الله ، وأفترنا منه مجالس يوم القيامة : أحاسنا أخلاقا ، الموطأون أكثافا ، الذين يأتفون ويؤلفون . فالدين والأخلاق صنوان لا يقسم أحدهم عن الآخر .

سیدی آبا القاسم یار رسول الله .

یا من ل الأخلاق ما یبری العلا منها وما یسحق نكبراء زانتك فی الخلق العظیم شمائل یغری بین ویولع نكرماء یوم یفره شأن الأمة علی الدین والأخلاق : سیرتفع ساواها بمطایع احراء ، ویزاحم تخمس فی جلاء ، ولین تستطیع أية نوة علی وجه الأرض أن تان بها أدنی نیر . یوم تفسم الأمة عن الدین وشمای الخلق وتبعد عن الصراط المستقیم فلا بقاء ولا عزة ولا سلطان علی الأرض .

ولقد سیر الرسول ﷺ الصراط المستقیم تصویرا یدعو إلى التفكير المستقیم ، وحدث جمیع قوی ، فقد روى ابن مسعود رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « یضرب الله مثلا صراطا مستقیما ، وعن جانبی الصراط سوران فیهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعدواک الصراط داع یقول استقیموا عن الصراط ولا تعوجوا ، وفوق ذلك داع یدعو كلما هم عبد أن یفتح شیا من تلك الأبواب قال یفتحک لا تفتح ، فإنتک إن تفتحته تلجہ : ثم فسرہ ، فآخر أن الصراط هو الإسلام وأن الأبواب المفتحة عارم الله ، وأن الستور المرخاة حدود الله فی قلب کل مؤمن » .

تأمل هذا الحديث الشريف ، وكيف یبین أن الإسلام ، وکنته لقرآن کلامه ، أخذان به الأمة إلى طریق حجة ، والعزة والكرامة ، كما قال أمير مؤمنین عمر رضی الله عنه ، لقد کما أولاء فأعرنا الله بالإسلام ، وإذا ابتغینا العزة فی غیره أذلنا الله .

ما أعظمک یا سیدی یا رسول الله وما أحمل بیامک حين تفتل المعویات بحسوسات ، وحين تشه اعتقالات بالأشبه المشاهدة : الصراط المستقیم هو الإسلام . والداعی غیر رأسه هو القرآن ، والأبواب المفتحة هي عارم الله ، والستور المرخاة هي حدود الله . إن الإنسان لو أوتی سحر البیان الذي یغمر له العوائق ، ومنح رهبة من خفة ، وأعصر فسرة التصور عن التعبير : عرف أن هذا الحديث الشريف راعیا الرأفة بیضاء تسمیه وإذعاناً للصحیح السلافة فی أعین طبقاتها ، فقد وضع الأمر حیر توضیح : سلام لا إعراب فی طریقه واصبحة ، منهجه فویمة مستقیمة ، مسالکة آخذة إلى طریق الرضی والسعادة وروشت الجنان ، فی أصول عقائده قوة ، ول شعاثر عبادته ترکیبة وظهره . فی مبادئ فوائده رفعة وعصبة ، ول قواعد نظامه سحر وإرتقاء ، وسما ورفعة وسناء

## أثر العقيدة في حياة المسلم

يا أمة الإسلام : إن من القوانين العلمية المفروزة التي لا تقبل الجدل : قول علماء الميكانيكا لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ، مضاد له في الاتجاه . وإن هذا القانون يظن على موقف المسلمين من اليهود ، فإذا كان اليهود يحاربون عقيدة فإن حرب العقيدة لا تقابل إلا بمثليها ، أي حرب عقائدية : فإذا كان هؤلاء الصهاينة يتجمعون حول التوراة ويقولون بأسمها - وهم قلة أنبياء ، ومغترون كذبة ، ومحرفوا الكلام عم بواضعه - فأولى بنا أن نحارب عن عقيدة الإسلام ، رافعين راية القرآن : بالعقيدة انتصرت جيوش المسلمين ، وبالعقيدة اندحرت جموع المعتدين ، وبالعقيدة لقد سمي بـ معاذ أنسبن الضرب - وكان قد فاته شرف الجهاد يوم بدر فاقسم أن لا تفوته غزوة مع رسول الله ﷺ إلا وجاهد فيها - لقيه يوم هتف الداعي للجهاد ، يوم أحد ، وأعد الرسول العدة لقتال المشركين ، يومها لقي سعد أنس بن النضر وسأله : إلى أين يا أبا عسر ؟ فقال : وأما : لريح الجنة ، والله إني لأحد ربحها دون أحد ! وزل البطش المغوار حومة الوغى ، وساحة القتال ، وطارت على شفرة سيفه رؤوس منزهة الجبروت والظلم ، وهاج في وسط المشركين كما يهيج الحجر لأوراق ، وزلزل فبهم زلزال الأسود إذا دبس عريتها ، وكان له شرف الاستشهاد في هذا اليوم

أنسرى يا أمة الإسلام كم كان في جسده من الضرب ؟ لقد وجد في جسده ثمان وثمانون ، م بين خربة بسيف ، وطعنه برمح ، ورمية بسهم ، حتى لقد شق عليهم أن يعرفوه من كثرة جراحه ، وما عرفوه يومها إلا أخته : عرفته بشيابه وبنايه . فماذا كان موقف السماء من هذا الشهيد البطل الذي نزل أرض المعركة والقلب مليء بقوة العقيدة ، والنفوس تشوق إلى النعيم الأبدى حيث الروضات الباسمات ، والضياء والكون المقيم ؟ لقد هبط سفير الأنبياء وكبير أمتاء رحي السماء يجوب الأفاق ويضوي بأجنته السبع الطباقي . هبط على رسول الله ﷺ آمين الأرض والسماء بريقة عزاء قرآنية عاطرة شيع بها روح الشهيد الطاهرة ، إنها قول الله تعالى :

والقرآن لأيكف عن الدعوة والنداء داعيا إلى المنابع الربانية هو قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . وقد وضع القرآن نجلاء حرمت الله وحدود دينه . وفي أثناء الحارم أرفع درجات العبادة ، كما قال أبو هريرة في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : من يأخذ منى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ قال أبو هريرة : قلت أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدي وعد حسبا ، قال : اتق الحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .

هذه مكانة حارم الله : من اتقها كان أعبد الناس . . . ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .

أرأيت كيف جمع الحديث الشريف في كلماته بين الإسلام وحارم الله وحدوده وقرآنه المجيد .

تلك هي معالم طريق النجاة : الاعتصام بحبل الله المتين وسنة رسوله الحبيب وجعلهما عقيدة ومنهاجا إلى يوم الدين . .

فالصلاة والسلام عليهما يا رسول الله يا من بعثت رحمة للعالمين وحددت لهم المساهج القويم ليسودوا به على العالمين . .

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه : فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب : ١٨] .

فإذا ما لقبت بأخى بناظرليك وبصيرت هذه البرقية شعلطرة الخالدة الفتوحة بأريج الجنة ، رأيتها سجلت لهذا الشهيد وأمثاله من الشهداء الأبرار والأبطال الأمهات ، سجلت ثلاث صفات ، وقررت ثلاث سجائب من أكرم الشجائات وأطهرها وأعظمها هي الإيمان ، والرجولة ، والوفاء ، من المؤمنين ، هذا هو الإيمان ، رجال ، تلك هي الرجولة ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه هذا هو الوفاء .

وبالعقيدة يرسل الرسول - ﷺ - زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ليتفقد سعد بن الربيع بين القنلى يوم أحد لينتقم السلام من رسول الله ، إن كان على قيد الحياة ، فينادي زيد على سعد ، فيجده بين حراجه ، ودمائه شراكية الظاهرة ، فيقول له : يا سعد : رسول الله يفرئك السلام ويقول كيف تجدك ؟ فيقول سعد : وعلى رسول الله السلام ورحمة الله ، أجد ريح الجنة ، ثم يقول سعد لزيد بن ثابت : أبلغ رسول الله منى السلام ، وقل له جزاك الله عن الإسلام حيرا ، ثم يؤكد هذا القول لزيد فيقول : بلغ أصحابك : ألا لا خير فيكم إن حلفوا إلى رسول الله - ﷺ - وفيكم عين تطرف !!

فانظر إلى هذا الشهيد البطل وهو يردع هذه الدنيا ويستقبل دار الجنود والنعيم المقيم ، يودعها وقلبه مشغول برسول الله ، يودعها ولسانه يلوح بالثناء على راية التوحيد ، يودعها وهو يوصي زيدا وأصحابه أن يكونوا أذانا ساعية ، وفمها راعية وجندا يفظون حول رسول الله - ﷺ - يقدونه ويحمره ويحافظون عليه .. وبروح العقيدة تستقبل أبواب الجنات سعد بن الربيع ليصلك مدارج الأموار ، ويقف على حقائق الأسرار ، ويعيش في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وبروح العقيدة يرى هذا الأعرجى بأف فيابيع رسول الله - ﷺ - على الحجر ويحضر يوم خمير ، ويقسم له رسول الله - ﷺ - من الغنائم ، فيأبى أن يأخذ شيئا ويقول لصاحب الرسالة انصاء : ما على هذا اتبعك يا رسول الله ، وإنما اتبعك لأمرى بهم فأقتل فأدخل الجنة ! ويأبى أن يأخذ من الغنائم ويرفض رفضا قاطعا . ويلحس اتباعه للنبي - ﷺ - في كلمات ملؤها الإخلاص والوفاء والرضا ! لم يتبع النبي

- ﷺ - لطلب مبعيها ، وإنما اتبعه لموت شهيدا فيكون عبد الله في فوه بغير أسوأ ، وإذا قاتل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحظ بهم من خلقهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴿ آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ ﴾ .

سعد كان رد الرسول - ﷺ - على هذا الأعرجى الذي دخل تاريخ الإسلام من أشرف أبوابه وأوسعهم ، قال له سيدنا رسول الله - ﷺ - : « إن تصدق الله بصدقك ، وينزل ذلك الأعرجى انحرمة بعدما صمحت الألسنة ، ونظفت الأسماء ، ونظفت السيوف على منابر الرقب ، وأقدمت الرماح عن أحفظ السحاب .. ثم يرى هذا الأعرجى وقد وقع شهيدا . فيؤق حسان عاهره إلى رسول الله - ﷺ - ، فيسأل الرسول - ﷺ - : « هو هو ؟ » فيف : نعم يا رسول الله ، فيقول سيدنا رسول الله - ﷺ - : « صدق الله بصدقك ،

أرأيت كيف هانت الدنيا وهان ما فيها أمام قلب عرف الله فأحبه ؟ سحبت ربي نظرة من فخر جودك تملأ الأرض ربا ، ونظرة بعين رضاك تملأ الكون ولها .

لعمرك : ما الإنسان إلا ابن دبه فلا تترك انكالا على نسب فقد رفع الإسلام سلمان فارسي وقد حظ بالشرك النسيب أو لرب

أرأيت كيف أن عقيدة تسير العزاء وتحرك الجند الشوامخ ؟ إنك ما عساه من أمتة إن هو إلا بعض من بعض ، وحرء من كل ، وقفرة من بحر ، وسفر من قسطنق فنى هذا الباب مراتب لا تحصى ، ومواقف لا تستقصى ، فمن أحده أحد حظ والف إن شاعر من عساه الله يعنى شعب منك أهل الأرض . وإن لحظة من غيبه ترمز الروح ، ولو حمت في نبي الدنيا .

كيف كان هؤلاء أسرى كانوا أم ملائكة ؟ كانوا بشر ، وذكر الله أنسب ، والثقة كرهه . والخير رفيقهم . والعب سلاهم ، والضير دهم ، والرضا عيبتهم ، والره حرقهم ، والذين قوتهم ، وعندهم شفيهم ، الطاعة حبهم ، والجهاد حقيقهم . وجعلت فرة غيبه في صلاة ، فرض الله به ورضوا عنه : ﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

فانهم ثبت قلوبنا على دينك واعمرها باليقين والعقيدة الراسخة التي شعثت عن غير أمة أخرجت ساس . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

بِهَذِهِ الرُّوحِ انْتَضِرِ الْمُسْلِمُونَ

مازلنا تواصل معراجا في أرجاء العقيدة العالية نظامرة الشريعة التي حققت النصر للمسلمين ، ورقعت راية التوحيد عالية حطانة عبر العصور والأجيال وجعلت المسلميين سادة الأمم والطغوب بعقيدتهم البقية الراسخة . .

ووهما هو عبد الله بن حذافة يفتي أمية فيقتصر الروم . فماذا قال لسان العقيدة وقلها  
الجياش بنور الفين ؟ ماذا قال هذا اللسان مترجما عن هذا القلب لملك الروم ؟ لنترك  
البيهقي وابن عساكر ورويان هذه الحادثة : عن أبي رافع قال : « وجد عمر بن  
الخطاب رضى الله عنه جهشا إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من  
أصحاب النبي ﷺ ، فأمره الروم ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فقالوا له : إن هذا من  
أصحاب محمد ، فقال له الطائفة : هل لك أن تتعصر وأشركت من ملكي وسلطاني ؟  
فقال عبد الله : لو أحلفيت ما ملكت وجميع مملكتي العرب غني أن أراجع عن دين  
محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت قال : إذا أفنك . قال أنت وذاك ، فأمر به فصلب ،  
وقال للمرأة : ارموه فريما من يديه ، فريما من رجليه ، وهو يعرض عليه ، وهو يأبى ،  
ثم أمر به فأنزله ، ثم دعا بقدر مصب فيها ماء حتى احترقت ، ثم دعا فأسيرين من  
الساسين ، فأمر بأحدهم فألقى فيه وهو يعرض عليه النصرانية ، وهو يأبى ، ثم أمر  
به أن يلقى فيها ، فلما ذهب به بكى ، فقبل له إزاء قد بكى ، فظن أنه جزع ، فقال  
ودود ، تعرض عليه النصرانية مأبى . فقال :

ما أياك إذا ؟ قال : أياك أي فدا قلت نفسي : تلقى هذه الساعة في هذه القدر  
تذهب ، فكنت أشبه أن يكون بعدد كل شعرة في نفسي تلقى مثل هذا في الله !  
قال له الطاغية : هل لك أن تدبيل رأسي وأخلي عنك ؟ قال له عبد الله : وعن جميع  
أشاري المسلمين ؟ لا أبالي ! ففدا منه قنبل رأسه ، فدفع له الأسارى . فقدم بهم  
على عمر رضي الله عنه ، فأخبر عمر بخبره ، فقال عمر : حق على كل مسلم أن  
يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وإنما أبدا ، فقام عمر ، وقبل رأسه .

حقاً إنها عقيدة الراسخة التي جعلت الباطل يذعن أمام الحق وانتهز أصحابه به  
بالثبات على سبيل، إنهم سرخوا مدرسة محمد عليه السلام التي تخرج منها المصالح العظيمة كأنه  
بكر والزعماء لهم : كعبه ، والحسين الكريم : كعبه ، والعبقرى الفذ : كعبه ، والمفتي  
الخبير كأنه عباس ، والمبصر القديم : كأنه عمر ، والمفاتيح الجبار كعبه ، والزاهد  
الخليل : كأنه ذر ، والحدث الكبير : كأنه هريرة ، والنفية ورع كأنه  
معهود ، والفقير الخوار : كالزهر ، والقاتع العظيم : كعبه ، واحتبه البارخ :  
كعبه .

إِنَّهُمْ أَسْحَبُ عَمْدٍ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : ﴿ يَا مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ . وَرِجَاءُ بَيْنِهِمْ . تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَتَتَوْنَ لَخْلَخًا مِنْ أَدْنَى وَرُضُونًا ، سُبَامًا فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ . ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرُورٍ أَخْرَجَ شَطَاةً فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَادِهِ ، يَعْبَثُ الزُّرْعَ لِيَحْبِطَ بِهِمْ الْكُفَّارُ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفُورَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ [ النجم : ١٩ ] .

هذه الروح انصر المسموم ، وبها تكبر دائما حمة مشاغل الهدى : "نواكل ولا تكسل ، ولا فرقة ولا تحذل ، ولنا على دائب رجاء .

مستمر . تحلوا للزمان تبعته ، حتى إذا جاءهم التدبير بأى هناك خطر دامياويشك  
أن يهرل به ، استعدوا ووزوا الزمان بأدق من ميزان الذهب ، عصاروا  
مضمثين ، وعصوا أن الطائفة التي تكذب الإمداد سوف يأمون الليل ، حتى إذا ما دعت  
السكرة ، وحلت الفكرة ، وانقضى السوف ، نادوا ، ولات ساعة مندم : ألا فلتعلم  
الشريعة أن منطق دينا الناس مبنى على القوة ، وأن الضعفاء لا مكان لهم على موائد  
الأفواه ، فإذا لم تعمل هذا الصبح العالى الذى وجهه إله سيدنا رسول الله ﷺ  
بقوله : مثل ومثل مايعنى به كمثل رجل أتى قوما فقال لهم : لقد رأيت الجيش  
يعينى وأنا فجوا ، وكذنته طائفة فصحبهم الجيش فاجتحمهم .

إذا لم نصل بهذا النصح فلا نك من إلا أنفسا . فقوله صلوات ربي وسلامه عليه : ( رأيت ) - ثم بعد ذلك ( بمعنى ) . ولا تكون الرؤية إلا بالعين . ثم قوله : ( وأنا أظن العريان ) . ولا يظلم الظن ثيابه إلا إذا كان الخطر شديدا ، وأخضب فادحا ،

## القرآن يحذر عن انحراف القوى النفسية

لما كان الإنسان كبير منسوبة لأوامر وإلهامه والتذكير والموعظة ، فليس ، فإن الكذب العبر عن هذه الحاجة فيه ، فذكر كثيرا ولله برأسه : وبين نوره وعينه ونور الوعد بسط القرآن كبره أموره ليحذر من الشر ويحذر بالجنة ، وإنه كان السلف صالح رضوا الله عنهم ، تحس أملاهم على آخر من القرآن في حردليل ، كتب من بعدهم آية نشر حجة بكل شوقا إليها ، وقد سر بآية تدر بحجاب شفق شهقة كذبهم حين أدب ؟ هكذا نظر الله إليهم في خوف التبرير . كانوا قليلا من الليل مل يجمعون والأشجار هم يستغفرون . وفي أموالهم عز سائل والخروج ( إلهام : ١٩ ) .

إذا كان مدبرة لأحد في يتكلمون عن القوى العسية والشهوانية بعقلية ، ويتكلمون عن قهات العسية ، وهي العدل والشجاعة ، بعبء والحكمة ، حملوها تدور حول هذه القوى - ومنه ما يشأ عنه فضيلة عبء - واعتدال الله بعقلية بالذات : فالقوة العسية قد تحرف منشأها وذيلة الثبور ، والقوة الشهوانية قد تحرف منشأها منه رغبة إغاة ، عن الأغراض ، والقوة عسية قد تحرف منشأها عنها رغبة العت .

وتعد بين قرآن كبره شجرة حرف القوى ، ففرق بين الحرام التي قد تشأ عن انحراف غوى وحرسها و من لا تكسر التي هي الله عنها وحفر من فرس . ومن القرآن كبره بقرن بين جرنى القتل والزنا ، وهما ثا شقان عن انحراف القول عسية والشهوانية ، بقرن بينهما في ثلاثة مواضع .

أولها : في سورة الأعراس . في قوله تعالى : ﴿ ولا تقرنوا الفواحش ما طهر منها وما بطن . ولا تقرنوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ ( الأعراس : ١٥١ )

وثانيها : في سورة الفرقان حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ واللذين لا يزوجون مع الله إلها آخر . ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ .

والحق مدغمة . والناس أمام هذا لإنذار مريقان : فريق استغل الوقت استغلالا طيبا فساروا أول الليل لكي لا يفهم ركب السر ، فنجوا ، ولم يستطع العدو أن يدرهم بقوة ، لأنهم أخذوا الأعباء واستعدوا الاستعداد كله ، وأما الطائفة المكذبة فإنهم ناموا وأخذت أظفاف الكرى تغزو أجهالهم ، وأخذوا إلى الراحة والكل ولم يعد للأمر غدته ، ولا فأم من مكر الأعداء .

لقد أكد الرسول ﷺ هذا المعنى عندما نادى على القبائل وهو فوق الصفا : أراهم لو أخبركم أن غيلا وراء هذا الوادى تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدق ؟ قالوا : نعم والله ما جربنا عليك كذب . فقال : إلى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة . ثم إن الرسول وهو يدع بيانه هذا يؤكد صدق قوله فيقول لهم : إن الرائد لا يكذب أهله : وحاشاك يمدى يارسل الله أن يتطرق الكذب إلى كلامك .

ثم يكرس الرسول ﷺ هذه الحقيقة ويرسي دعائم هذه المبادئ فيقول : والله فتمتن كما تاملون ، ولتبعن كما تستيقظون ، ولتحاسن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسيء سوءا ، وإني لحنه أبدا أو لنار أبدا .

إن مواكب الذكريات المدغمة نادى : أجيروا داعي الله وآمروه ، وتذكر أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا أنه صلح به أولها : البقعة بذل العقلة ، وبعث روح الحذر إذا حاول الإهمال أن يذب و النفوس : لقد ذمت إسرائيل على مسح من الدنيا واجتمعت الأمم ، وانفضت مرات ومرات . وإسرائيل تبني وتطيد : اجتمعوا لحجة الحفاظ على السلم ! وهل حفظ السلم .

وهل نحن بتا لا يروعا الظلم ؟	وهل رفع الحق الدليل جيته ؟
ودرب لذت شاب لذته السهم	صحنه كلاما لذ في السح وقعه
وقل على الأيام أن يصدق الحلم	أمال كالأحلام : زخرها الكرى
وقد عادت الصغرى على رأسها الغرم	أرى الدول الكبرى لها الغم وحدها
وقد أمكنتها من مقاتلتها البهم	منى عفت الذبان عن خم صيدها
إذا لم يؤيد حقه المدفع الضخم	كل شعب : ضائع حقه مدي

بأبى قومي يعملون بأن نداء رسول الله ﷺ يجب أن يأخذ طريقه إلى الأذان يمدى ويجلجل ويقول : « لقد رأيت الجيش يعنى وأنا الذير العريان » .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه وسلم .



وثالثها : في سورة الفرقان حيث ينزل سبحانه وتعالى : ﴿ وَاللَّذِينَ لَا يَدْرُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، لَا يَسْأَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ .

أما القوة العقلية فهي اعتدالاً فصلة الحكمة ، وفي آخرها رذيلة العت ، وإنما يتحرف العقل عندما يستدل في غير ما خلقه الله له ، حيث يضرب ويخط في محال لا يعرف حقيقته ولا أوله ولا آخره . كما حدث لبعض الفلاسفة الذين أجهلوا علوهم بنية الوصول إلى « حقيقة الغيب » أو ما يسمونه بما وراء الطبيعة - فكانوا إلى الوثنية أقرب وعن الحقيقة أبعد لما بين السماء والأرض . لأن محبط ما وراء ما وراء الطبيعة أعنف من أن يحجز عنه ساح ما وراء .

ولذلك جاء الحديث مخفراً من هذا : يقول رسول الله ﷺ : « تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في ذات الله فتهتكوا » .

وروي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال : « ما جهل الناس ، ولا احتفظوا إلا لتزكيتهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس » .

لقد أراد أرسطو أن يضع طبيعة ، وما وراء الطبيعة للسان البشري ، فاندفع كل الإبداع شبيهاً واستحساناً . وأحسن صدقاً وانحازاً ، فكان مثله كمثلي اللوحة الزائفة البرافة ، والسراب الخادع ، فتأذى الإنسانية إلى انحراف هائل ، وإلى اضطراب في الفكر وفي العقيدة لا حد له .

ولا ريب أن الإنسان منذ أن وجد معه روح من أمر الله وهو الوحي : يرشده ويهديه ويبين له المبادئ والقواعد في المسائل التي لا يصل إليها تفكيره البشري إلى حل فيها ، وهي مسائل ما وراء الطبيعة ، والإنسان عندما يفكر في الوحي ، يريد أن يعرف العلل والحكمة ، ويريد أن يصل إلى السر ويكتشف الغايات ؛ ولكن ما أجل نوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من أوتى من رسول فإنه يملك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾ : فعالم الغيب إنما هو حجر محجور بالنسبة للعقل البشري ، ومقدس عالم الغيب عن أن يمسك بمناخه ، أو يكشف عن مساميره ، إلا من أذن له الله من منى مكرم أو من رسول مأذون .

إن نظرة بصرية في « موفيت » أرسطو ، فيما وراء الطبيعة وفي حجاب الصمت رضى الله عنه بين لنا مدى إحقاق أحدهما وحيدة الآخر : فأرسطو استعمل النفس في غير مجته ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يسأل : « هم عرفت ربك ؟ فيقول : عرفت وفي يدي ، ولولا ربي ما عرفت ربي ! قيل : فكيف عرفته ؟ قال : العجز عن إدراك ، إدراك ، والبحث في ذات الله إشراك .

وما أهل ما قاله على رضى الله عنه حين قال : إن كنت العيون لا تراء تشاهدة العيان ، فإن القلوب تدركه بحقيقة الإيمان سبحانه ربي لا يدرك بالحواس . ولا ينافس بالأساس ، موف كل شيء ، وليس تحته ، وهو في كل شيء لا كشف ، ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وهو السميع البصير ﴿ الشورى : ١١ ﴾ .

فما أهل وأروع وأعظم وأحكم وأسلم هذه العقول التي عرفت لكل شيء قدره ، فأصدرت حكمها عدلاً وصدقاً ! وقد سأل بعض الماديين الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه فقال : « هل أنصرت ربك ؟ قال الإمام : سبحانه ربي ! لا تدركه الأعصر . قال : هل أحسنه بأحد حواسك ؟ قال الإمام : سبحانه ربي ! ليس كمثله شيء . فقال السائل : وما لم يكن أحسنه ولا أهدى منه : فمن أين تثبت أنه موجود ؟ قال الإمام : بأهدأ : هل أنصرت عقلت ؟ قال : لا ، قال : لا قال الإمام : آتيت عرفت أم مجنون ؟ قال له : أم عاقل . قال الإمام : فأين عقلك ؟ قال : موجود ، قال الإمام : كذلك الله حلي حاله موجود .

وهكذا تبرز انحصارية والحكمة في مثل هذه الحالات هي تحتاج إلى استدلال المنطق لتبديد وترد الرشيد :

قولون : أين الله أين عجلابه ؟ وإذا الكون سفر ناطق وهو كتاب يشكون والإيمان ملء قلوبهم ولكن جهل المرء لا شئت غالب

كذلك يريد إسلام من العقل أن ينتج للناس في شتى العلوم الكونية ما يعود على البشرية من نفع . فاستأثروا التاريخ عن أبعاد الإسلام : عن علم الضرر وخصريات لابن الهيثم ، وعن مكتشف الدورة الدموية وهو ابن النفيس ، وعن كتيب من حبان ، ورياضة الحوار رضى ، وطلب ابن سينا ، وعلم الحيوان والنباتات للجناح . والتفاضل

والتكامل ثابت من قرة ، والتلك سينال : امتلوا التاريخ عن هذه الأجناد ، وكيف  
سلطت في سماء العلا ؟ إنهم خير من مدرسة الإسلام العظمى الذين طلعوا كالكواكب  
الدوية نفساً للناس في لجج البحار .

اللهم رفقاً لما نبحه وترماه ، واحملاً لمن يستهون القول فينبون أحسنه وصل  
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### القرآن طريق العصمة من خطوات الشيطان

سريق القرآن مصوم ، لأنه : لم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من حسنه تنزيل  
من حكيم حميد [ فصلت : ٤٢ ] ، وقد شهد للقرآن شهادة يحسد للحق  
عنها مولى عظيم مكة يسمع من الرسول ﷺ آيات يثبت فيقول : ثم سمعت من  
عبد كاهن ما سمعت منه قط : إن له حلاوة وإن غيره لفلاوة ، وإن أصلاه لشعر  
ورب أسفه سدف ، وإن يعمر ولا يعمل عبه .

ويقول سمنشون : مار مديوك بكسك : يكفى الإسلام عطمة أن أصحابه ظلوا  
أسي عشرة سنة في اضطهاد وتعذيب بين مكى الأسد ، ومع ذلك كانوا يرمون ولا  
ينقصون ! ويكفى كتب الإسلام جلالاته مضى عليه أربعة عشر قرناً من الزمان لم  
يحب أسبه بفتاك ، بل ظل عسا يده كأن عهده بالحياة أمس .

وهكـ : تطلق الأقواء لتشمس بأنها مصدر الدور والحركة ، لا ينكر ذلك إلا جاحدا  
أو مكابر ربي الإسلام الذي بهذا الكتاب المقصود خير مقصود أبداً . وقد شهد له  
الأعداء أيضاً شهادة حتى أن يستطيعوا يعزوا أو يبدلوا فيها : فلما هو أسي سفيان من  
حرب - فس أن يدخل الإسلام - يعتقد - هرقل - عظيم الروم معه اجتمع مدرنا للنظر  
في شأن سي الإسلام بشأنه عن كل ما يفصل به ، ماذا ، كانت الأسئلة ؟ وكيف  
كانت الإجابة .

أنفل بكم الآن إلى البلاط الروماني فيمصرى لتخسر هذا الاجتماع عن الطبيعة .  
وركالات الأنباء التي أذاعت هذا الاجتماع غابة في قرة التصديق ، فإياها وركالات الإمام  
البحارى .

عن عباس رضى الله عنهما أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب  
من قريش وزكناوا تخاروا بالشاه في المدة التي كان الرسول ﷺ ماداً فيها أبا سفيان  
وكفار قريش ، فأتوه وهم بإبلياء ، فدعاهم في مجلس وحوله عظماء الروم ، ثم دعاه  
ودعا بترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال

أبو سفيان : قتلنا أنا أقربهم نسبا ، قال له إلى سائل هذا الرجل . فإن سمى فكذبوه ، فوالله لولا أن يؤثروا على كتابنا لكذبت عليه ، ثم كان أول سائل لي عنه أن قال : كيف نسب فيكم ؟ قلت : هو فيما ذو نسب . قال : فهل قال هذا يقول أحد منكم ؟ قلت قلة ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آباءه من ملك ؟ قلت : لا . قال : أيزيدون أم يتقصون ؟ قلت بلى يزيدون . فهل يرتد أحد منهم سخطا لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغير ؟ قلت : لا : ونحن لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يكتفى ولم يكتفى كلمة كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم قال : كيف قاتلكم إيها ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سحر . ينال منا وننال . قال : بماذا يأمركم ؟ قلت : يقول عبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له سألتك عن سه فرعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذكر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك : أشرف الناس تبعوه ضعفاؤهم ؟ فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك : أيرتد أحد منكم سحطا لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تعدوا . وسألتك : هم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبما جاءكم عن عبادة الأرباب . ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فإن كان ما تقول حقا فبذلك موقع قدمي هاتين ، وكنت أعلم أنه خارج ، وما كنت أفعل أنه منكم ، فلو أعلم أن أحصل له لتجملت لقائه ، ولو كنت عنده لمعست عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بينه مع حمية رضى الله عنه عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك

بداغية الإسلام . أسألكم الله أجركم موني ، فإن توليت فإن عليك إثم دارسين . وبأهل الكتاب نعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا معبد إلا الله ، وإن شرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا شيئا ما بنا مسلمون .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الغضب ، وارتفعت الأصوات وأخرجوا ، فقبلت لأصحابي حين خرجوا ، لقد بلغ من أمر ابن أبي كبشة أنه يتخاف منكم سي الأضر ، فما زلت موقفا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

إن هذا الحوار الذي دار بين هرقل و أبي سفيان ، أهم كان أبو سفيان على الشرك تردد بين عديدين للرسول محمد وللإسلام ، وقد قالوا : الحق شهدت به الأعداء ، إنه حديث لا يصلح أن تلوكه فأسأله أو تحرك به الشفاه دون أن تدير غيرة ، وتنسحق في مكتون سره ، فإنه يخبر وثيقة تاريخية خالدة ، ما تعدلت الملوان واحتلف المديدان .

فيها عشرة أسئلة رد عليها بعشرة أجوبة . ثم تبعها نتيجة من هرقل ، لو كان يستطيع أن يتخلص إلى رسول الله ﷺ لشتم الوصول إليه ليعمل عن قديمه : فأقرأ هذه الوثيقة مرة ومرة فإنها تفيق وشخصية لأعظم إنسان عرفه العالم وهو محمد بن عبد الله ﷺ . ولحق الإسلام شهد الكاتب الإنجليزي رثرادوشو : شهادة لحصلت مقاييس العقلية في سيدنا رسول الله ﷺ . قال : شو : لو كان محمد بن عبد الله بشا في القرن العشرين لحل مشاكل العالم ربنا يتعاطى سبحانه من القاهرة

ما نمة أدق منك و أن طريق القرآن معصوم من الزلل والخطأ ، وأن من الذي جاء بالقرآن معصوم قال سبحانه : ﴿ قد جاءكم من الله من نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه السبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ . [ المائدة : ١٦ ] . ونظرة في كتاب الله . وفي نزل سورة بالذات . فبذلك نفث أمام غرابيه وقد أخذت الدخنة واسترلى عليك الفجرب فتارة تذكر أوائل السور وصفها لهذا الكتاب ، وتارة أخرى وصفاً الذي أنزل من الكتاب . وبذلك التطبيق لهذه القاعدة .

يقول الله في شأن هذا الكتاب ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] ، ويقول في وصف ذاته الأقدس - وهو الذي نزل عليك الكتاب بالحق ويقول له وصف الكتاب : ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس : ١] ، وفي وصف الكتاب ومزقه ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] ، وفي وصف الكذب : ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [يوسف : ١] ، وقال : ﴿ تلك آيات الكتاب ، والذي أنزل إليك من ربك الحق ﴾ [طه : ١] ، وقال : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ [إبراهيم : ١] ، وقال تعالى : ﴿ تلك آيات الكتاب وفرآن مبين ﴾ [الحجر : ١] ، وقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، فيما لينذر بأما شديد من لدنه ويشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن هم أجرا حسناً ﴾ [الكهف : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [الفرقان : ١] ، وقال جل شأنه : ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ، هدى ورحمة للمتقين ﴾ [السجدة : ٢] ، ثم يؤكد مصدره ويقول في أول سورة السجدة ﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ وفي سورة [يس] يصفه بالحكمة فيقول : ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ [يس : ١] ، وفي سورة [ص] يصفه بأنه صاحب الذكر فيقول : ﴿ ص والقرآن ذي الذكر تنزيل الكتاب ﴾ وفي سورة غافر يصف من أنزله بالبر والرحمة : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ ، وفي سورة [فصلت] يصف من أنزله بالرحمة المطلق ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ وفي سورة [ش] يصفه بأنه يقول : ﴿ في والقرآن العظيم ﴾ ، وفي سورة [الرحمن] يفتن على عباده بأعظم آية وهي آية الله ، القرآن - حتى يأس أعظم هذه العسة أن قدمها في الذكر على خلق الإنسان قال سبحانه : ﴿ الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ﴾ وفي سورة [الحق] يأتي الموقف الرائع والشهد البديع حيث نكث الجميع حقيقة من الحق تستمع إلى القرآن الكريم فينزل منها منزل فطرات البدي على الرعدة الصمائي ، يتفاطر سوراً ورحمة ، ثم وصفوه ؟ قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي إلى الرشداً ، فأما به ، ولئن شئت لرما أضداً .

ولقد كان لهم شرف حمل دعوة إلى قومهم بعد أن أعطوا هذا الكتاب حقه من

حسب الاستماع والتأدب في مجلسه ، فبلا من مائدة الله الكريم ما استطاعوا . قال جل شأنه : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن : فلما حضروه فهم أنصتوا . فلما قبض ولوا إلى قومهم مبذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من عند موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخبركم من عذاب أليم ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

والله اعلم القرآن العظيم ، ويبيع قلوبنا ونور صدورنا واجعله الهادي لـ . الصراط المستقيم . وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

## القرآن وأثره في سلوك المسلم

تحدثنا في المقال السابق عن عظيمة القرآن الكريم وكيف وصف الله كتابه بصفات كثيرة تدل على عظمته منزله وامتن الله علينا في آياته عديدة بأعظم منه وهي تعليمنا ذلك القرآن عن طريق رسوله الحبيب .

ونواصل حديثنا فنقول - وبالله التوفيق - إذا ما نظمت هذه الصفات للكتاب الكريم في عقد فريد رأيتها في مجموعها تحكم له بالحكمة والذكر والمجد والاعظام والهدى والبشرى والرحمة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ورأيت هذه الآيات في فواتح السور تربط بين صفات الله تعالى وصفات كتابه الكريم ، وتصف الله بصفات الكمال التي تليق ب ذاته الأقدس ، وتحكم بأن تنزيل الكتاب - أن الكتاب المرسل من عند الله ، الموصوف بأنه الحي القيوم ، وبأنه العزيز الحكيم ، وإذا كانت هذه الصفات صفات الكمال ، وحسبت للكتاب نفسه هذه الصفات الكريمة ، فضلاً عما احتوته الآيات اليات إذ ما عشت في بحار القرآن .

إنه أمر لا يحصى عدا ، ولا يحيط به حد : فأنه قوله الحق ، والقرآن كلام الله ، الواجب له كل ما يليق ب ذاته ، والله نور السموات والأرض ، والقرآن نور : ﴿ يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَهُم بَرهانٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ نُورٌ مُبِينٌ ﴾ [ النساء : ١٧٤ ] ، والرسول ﷺ نور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [ المائدة : ١٦ ] .

فمن سلك هذا الطريق جميل الله له نوراً في قلبه ، ونوراً في سمعه ، ونوراً في بصره ، ونوراً في عظمه ولحمه ، وجعل من نوره نوراً ، ومن نخته نوراً ، ومن أماته نوراً ، ومن ورائه نوراً ، وعز بيه نوراً ، وعن ضلّاله نوراً ، وبالجحش أصبح ربانياً وقرآناً يعيش بين الناس . قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [ آل عمران : ٧٩ ] .

ومن ترك هذا الكتاب زلت قدمه ، وتسلط عليه شيطانه : ﴿ وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُبْتَدَلُونَ ﴾ [ الزمر : ٢١ ] .

مبتدون ﴿ [ الزمر : ٢١ ] . وتقلب هذه الصداقة التي كانت به وبين النبي . الدنيا إلى عداوة خبيثة في الآخرة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . بَعْدَ الْمَثَرَتَيْنِ قَبْلُ الْقَرِينِ ﴾ [ الزمر : ٢٨ ] . لأن كل صدقة تقوم في الدنيا على غير معرفة الله تقلب إلى عداوة يوم القيامة : ﴿ الْأَحْلَاءُ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ لِيَعْتَلَهُمْ حَيزٌ إِلَّا لِمَنْ يَنْهَى ﴾ [ الزمر : ٦٧ ] .

ولذا قال رسول الله ﷺ : خير الأصحاب من إذا ذكرت الله أعانك ، وشر الأصحاب من إذا ذكرت الله لا يعينك وإذا سميت لا يذكرك . وقال : لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي . ويحدث بقول من : لمؤمنين يوم القيامة : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَلِمَاتِ مُسْلِمِينَ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُغْبَرُونَ ﴾ [ الزمر : ٢٨ ] .

فلذا كانت السالك لطريق الهدى يعيش بين حالات الأنوار من جميع الجهات . وتسلط عليه شيطانه بسد عليه جوانب الحياة . فقد نقش الكتاب تعريزاً بذلك من لسان إلهي . يقول : ﴿ قُلْ فِيمَا أَشْهَدُكُمْ لَا تُقَعِّدُوا لِمِمْ صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ثُمَّ لَا تَجِدُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [ الأعراف : ١٧ ] .

إن هذا القرآن العظيم يهتدي بهرشد وينبه ويوقظ ويكشف حجب خيالات . تعالى ينادي على عباده فيقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ . وَالنُّورُ : ٢٤ ] . وبين عاقبة اتباع هذه الخطوات فيقول : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [ النور : ٢٤ ] . والمؤمن في هذا النص يذكر بعد أن الله تعالى من اتباع الخطوات وذلك لأن الشيطان لا يأخذ إلا من يهتدي به في المعصية مباشرة ، وإنما يسبق ذلك خطوات حل طريق المعصية : يستخرج الإنسان منها شيئاً متنبهاً ، حتى يجد نفسه أمام أمر شنيع ، فإذا ما انغمس في المعصية وأدرك بعد قوتها تذكر أنه لو حسب الأمر في يادته ما أدى به إلى أن يكون من المذنبين . لأمر الله . ويؤكد هذا المعنى ويتجلى في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَاَ ﴾ [ ق : ٢٧ ] . ولا تقربوا الفواحش ﴿ [ الإسراء : ٣٢ ] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [ الإسراء : ٣٤ ] .

تأثري في هذه القصص عن القرب ، وهو بالأولى نهي عن فعل الشيء نفسه ،  
 فـقرب الرنا أو قرب الفراخ : هو عبارة عن مقدمات تؤدي إلى الفعل النبعة .  
 والمقدمات : كالطرفة والخلوة بأثره الأحمية ونسب أو التثليل ، إلى غير ذلك من  
 الدواعي التي تؤدي بصاحبها إلى الوقوع في ما حرم الله . وقرب مال اليتيم بنذر ما  
 أمر الله : هو النظر إليه بعين الطمع ، وقبيل عليه بحيث مال الرضى وحلفه الخائن :  
 مالى الرضى ومال اليتيم - دون أن يكون هناك حساب قائم بسوء التقدير . . قرب هذه  
 وسائل قرب غير التي هي أحسن تؤدي إلى أكمل الحرام ومن الحرام . قل تعالى :  
 ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْوَالَكُمْ . وَلَا تَبْدُلُوا الْحَيْثُ بِالْغَيْبِ ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى  
 أَمْوَالِكُمْ إِنَّه كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ . إذ أن من حده حول الخس بوشك أن يقع فيه . ألا  
 إن لكل ملئ حمى ، ألا إن حمى الله عارجه .

ثم إن هذه الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾  
 [ النور : ٢١ ] ، إنما جاءت عقب آيات تنفيس فرائض إسلامية في نظام المجتمع ، ففى  
 الآية رقم [ ٢١ ] من سورة النور . . حد الله في هذه الآيات السابقة حدوداً للزنا  
 وقذف النساء العائلات المأثرات ، وبين حكم اللعان بين الرجل وروجه . ثم نص  
 علينا حديث : الإعت ، فليس يثبت عليه نسيج قد حث في دين آموا . فكل هذه الأمور  
 تنبأها حقيقة أخذ بها الإسلام ، مؤلف خاصة تشير سمية الجاهل في حرمة الاعت . ويعبر  
 هذه المواقف والأحكام والحدود فإن السمية من تعدد الشاح الضال . ولا يجوز الملام  
 ولن تكون ما الرباح مواتية . إذ سرعان ما تضطرم عسكرة عاتية تؤدي به إلى فاع  
 الخوف ، ومن هنا نرى أن هذه الحرائم السابقة إلى حايث نتيجة لا تباح خطوات شيطان  
 على طريق تعصية ، وهذا مبدئى ومقدمات أدت إليها .

ولقد امتن الله سبحانه وتعالى علينا حين لنا الرشد من العمى فقال : ﴿ يَرْبِدُ اللَّهُ  
 لِيُنْزِلَ لَكُمْ وَبِهِدِكُمْ مِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللَّهُ يَرْبِدُ  
 أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيَرْبِدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشُّهُورَاتِ أَنْ تَمْلِكُوا مِلْءًا عَظِيمًا . يَرْبِدُ اللَّهُ أَنْ  
 يَخْخَفَ عَنْكُمْ ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ . وقال جل شأنه : ﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا ،  
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

لقد انتفع السلف الصالح بهذه الدروس الخالدة التي غرست فيهم ومع السجيا وكرم

سدى استجابة في شتى صورها . فمن أهم ما يشير - هذا الدين حيث أنه دين  
 الرحمة فقد قال - عليه الصلاة والسلام - متحدثاً بنعمة الله عليه : ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَحِمَةٌ  
 مَهْدُودَةٌ ﴾ . وقال : ﴿ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي  
 السَّمَاءِ ﴾ . وقال أيضاً : ﴿ لَا تَزُغُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مَن شَقِي ، وَقَالَ أَيْضاً : ﴿ مَنْ لَا يَرْحَمِ  
 لَا يَرْحَمُ ﴾ .

وكفى الإسلام في حال رحمة وبائع إنسانيته ورواة أنه فتح أبوابه لحنان لرحم  
 سقى كلباً كان قد اشتد به العطش وأدخل امرأة النار لأنها عدت هراً حبسها : لا  
 هي أظلمتها ، ولا هي تركها تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت جوعاً .

ويتجلى ويتألف هذا الجانب من الرحمة في أبي بكر الصديق ، وعبر من الخطأ  
 - رضي الله عنها - في حادثة نسى لها الجباه العالية . فعمد - في عهد أبي بكر  
 الصديق - رضي الله عنها - وهو بمثابة وزير عدله - بتمه امرأة عجوزاً ثيباء : برش  
 من عيبتها وبنوم بتنظيف أرضها ، ويحضر لها طعامها ، ويوصيها ألا تحب أحداً بهذا  
 شأن . وبأنى ذات يوم فيفاجأ بأن الحيمة قد كنست وريشت وأحضر اصنام للعجوز  
 وسأفا : من فعل هذا ؟ فقالت : لا أعرفه ، وأوصاني ألا أذكر فعله بأحد . . وبأنى  
 عمر في اليوم الذي ، ويتنكب وراء صحرة ليرى من يحيى بأنى في حد . ليقيم به  
 يعمل . أندرون من كان هذا ؟ إنه أبو بكر الصديق . فخرج له عمر من وراء الصحرة  
 وقال له : أنت يا خليفة رسول الله ؟ ثم يرسل هذه بكلمة حاللة : ما سألت  
 . بكر غير إلا سفتى .

فهذه حادثة من آلاف الحوادث التي سادت المجتمع الإسلامي الكريم . وخاتمة ووريرة  
 يتسابقان لخدمة امرأة عجوزاً أقدمها ارم ، ويفتح كل منهما مع الله دفتر توفير ،  
 لحسنات ليكون له الرصيد الأعظم عند الرحمن جل جلاله ﴿ مَا عِدَّةٌ يَبْقَى وَمَا عِدَّةُ  
 اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [ السج : ٩٦ ] . ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [ الأنعام :  
 ١٦٠ ] .

فاللهم اجعلنا من جيودك المخلصين الذين يستمعون القول ويشعرون أحسنه ، وصل  
 اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

## القرآن واثره في تربية الأخلاق

ليس هناك من طريق للنجاة أعظم من كتاب الله الذي علّم السنين أعظم الصفات وأجملها وتستعرضها على سبيل المثال - لا الحصر - بعض تلك الصفات .

• لقد علمهم الأمانة : فقد قضى الإحساس برعاية الله على جميع ورائد الجاهلية في نفوس المؤمنين ، وطبعهم بطابع رباني فريد كله حشية شـ ومراقبة له وانتفاء لمرصاته . وما يروى في ذلك : أنه لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباس : أقبل رجل يحنّ معه ، فدفعه إلى صاحب الأقباس ، فقال للذين معه : ما رأيها مثل هذا قط ما بعدله ما عدنا ، ولا يفاربه ، وقالوا لرجل : هل أحدث منه شيئاً ؟ قال : أما والله لو لا الله ما أتاكم به فمروا أن للرجل شأنًا ، مسألوه : من أنت ؟ فقال : لا والله لا أغيركم لتسجدوني ، ولكنني أسجد الله وأرضى شربه ، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسألوه ، فإذا هو عمر بن قيس .

• كذلك علمهم الإسلام التسامح ، وأكد هذا المعنى في سورهم فلا شجاء ولا بعضاء : فيها عليه بن يزيد - رضي الله عنه - لا تقوى على الجهاد ، فيقوم من الليل يصلي ، ثم يترجعه إلى رافع السماء بلا عمد ، ودموع الاعتذار تفيض على خديه ، فمادام قال في اعتفاره إيه ؟ قال : • اللهم إني قد أدرت بالجهاد ورغبت فيه ، وأنت تعلم أنني لا أملك ما أنقوى به على الجهاد ، وليس عند وصونك ما يحملني عليه .. فإلهم أشهدك أنني قد تصدقت على كل مسلم ومسلمة بكل مظلمة ظلمت بها في نفسي أو مالي أو عروسي .

ومى الصباح يذهب إلى رسول الله - ﷺ - ، ويقف الرسول بوجهه المستنير كأنه قطعة قمر وبهاني : • أين المتصدق الليلة الماضية ؟ • فسكت عليه • فيكرر الرسول - ﷺ - صالداً ، فيقول عليه : • أنا يا رسول الله ، فيقول له سيد الخلق وحبيب الحق : • أبشر ! فقد كتبت صدقتك في الزكاة المقبولة .

إنها السماحة في أجل معانيها ، وإيه العفو والصفح الجميل .. يتصدق بكل مظلمة

على كل مسلم ومسلمة ، وإياك كان تروح هذه المظلمة ! إنها روح القرآن ، وبها تفتحها أندسية ، وإيه شاملة الرتبة .. جميل في كل شيء : في صفحه جميل ، وصفح الصفح الجميل ، وفي سره جميل ، فأصبح صبراً جميلاً ، وحتى في هجره جميل : • وأهجره هجراً جميلاً .

• وعرض فيهم القرآن روح نعمة مهما أظلمت المطلوب ، وصبار الحبيب فادحاً .. فيها هو : • بعد من أي بقاء - قبل واقعة النداء - يرسل • ربي • بن عمر • إلى • رند • فالتد حيرت القوس وأميرها ، فدخل عليه وقد ركبوا يجلسه وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل • ربي • بتياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ، و • يزل راكبه حتى • من بها طرف السط ، ثم قرأ ورخطها ببعض تلك التماسك ، وأقبل عليه وعليه سلاح ودرعه وبقيته عن رأسه ، فقالوا له : ضيع سلاحك ، فقال : • يا لم أتكم • وإنا دوتوني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت ، فقال رستم : دعوه . فأقبل بثوكة على رده ، فسأله • رند : • ما جاء بكم ؟ فقال : الله اشعثنا فنخرج من شاء من عبادة ساء إلى عبادة شـ ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل إسلام .

إنه غرة النفس مهما تكن قسوة العابر ، وإيه غرة الإسلام ، مهما تكن قوة الناس الآخر . إنها غرة التي غر فيها عمر - رضي الله عنه - • • لقد كنا أدلاء فأعرفنا الله بالإسلام . فبها ابتعد غرة في غيره أدلاء الله .

• معهم هذا الكتاب تسأل الصفات وأرفعها ، وأقواها وأفرها وأظهرها وأزكها : ألا ومى صفة الصدق ، كما أمرهم بذلك التي العظيم في قوله : • عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وحذروهم من الكذب فقال : • وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً . • وقد سن رسول شـ - ﷺ - : • أكون المؤمن كذاباً ؟ فقال : • لا • وقد طلب من أحد العصابة نصحه فقال : • لا تكذب .

• اعلموا أن الصدق منجاة مهما اشتد الخطر ، ومهما كانت العوامل المثيرة عليه ،

فصدفوا .. رما أمدا أقدم أستاذاً في علم السدق يتحدث إليها في أخرج المواقف وأشد الظروف : إنه كعب بن مالك - رضي الله عنه - أحد الثلاثة الذين خلفوا : ولأنهم لم يركبوا إلا إلى كعب وهو يجلس أمام سيدنا رسول الله - ﷺ - : الرسول يسأل وكعب نيب ، فكشع مرض القعدة بأكملها :

قال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول الله - ﷺ - في غزوة غزاهما قط إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، وإنما أخرج رسول الله - ﷺ - يريد غير فرس ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير سبيل ، ولقد شهدت مع رسول الله - ﷺ - ليلة العبة حين تناقضا على الإسلام ، وما أحب لي ما شهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس بها وأشهر ، وكان من حيرى حين تخلفت عن رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك ، أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما جمعت فيها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، وكان رسول الله - ﷺ - كلما يريد غزوة يغزوها إلا وري بعيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله - ﷺ - في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومنازراً ، واستقبل عدواً كثيراً ، فجلى المسلمين أمرهم لبتأهبوا أعية عدوهم ، فأخبرهم وجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله لا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد الديوان ، قال كعب : قل رجل يريد أن ينجب إلا ملأ أن ذلك سيخلفي عليه ، ما لم يتزل فيه وحى من الله - عز وجل - ، وغزا رسول الله - ﷺ - تلك الغزوة حين طابت المنار والظلال ، وأنا إليها أصغر ، فجهز إليها رسول الله - ﷺ - والمؤمنون معه ، فطعنت أغلوا لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أفتش من جهازي شيئاً ، فأقول لنفسى : إلى قادر على ذلك إذا أردت . فلم ذلك يتأذى لي حتى استمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله - ﷺ - غادياً ومبلسون معه ، ولم أفتش من جهازي شيئاً ، وقلت : أجهز بعد يوم أو يومين ثم للخلد ، ففعلت بعدما فصلوا لأجهز فرجعت ولم أفتش من جهازي شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أفتش شيئاً ، فلم يزل ذلك يتأذى لي حتى أسرعوا ، وفارطت الغزو ، ففهممت أن أرتحل فأخلفهم ، ولبت أن فعلت ، ثم لم يقد ذلك لي فطعنت إذا خرجت من الناس بعد رسول الله - ﷺ - بخرسى أننى لا أرد إلا رجلاً ممنوحاً عليه في الصاق ، أو رجلاً ممن عدوه الله - عز وجل - .. لم يدرى رسول الله - ﷺ - حتى بلغ تبوك . فقال وهو جالس في القوم بتبوك :

ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : حسبه يارسيد - بركة - وطر في عطفه . قال معاذ بن جبل : بل ساءت والله يارسيد الله ما ساءت عيبه إلا خير . فسكت رسول الله - ﷺ - . قال كعب بن مالك : فلما بعني رسول الله - ﷺ - قد توجهت دليلاً من تبوك ، فحضرت بني ، وطعنت ثم كبر الكذب وأقول : فإذا أخرج من محطه غدا ؟ وأستعين على ذلك بل ذي رأى من أهل ، فلما قيل إن رسول الله - ﷺ - قد أتى قادمًا زاح عن البائل ، وعرفت أني أخرج منه شيء ساء ، فأجمعت صدقه ، فأصبح رسول الله - ﷺ - ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فلي ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المستمعون فسبقوا بهندرو - إليه ويحسون ، وكانوا بصقة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله - ﷺ - - غلابته ويستمرهم وبكل سرارهم إلى الله تعالى . حتى حلت ، فبدأ سلمت عليه نسمة نسمت له قال لي : (تعال) . فجلست أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلفك ؟ ألم تكن قد اشتريت ظهراً ؟ ، فقلت يارسيد الله ، إن لو جلست - غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر ، فشد أغصيت جدياً ، وأخبرني الله أنه علمت لئن حدثت اليوم حديث كذب ترضى به عني يوشكن الله أن يسخطني مني . ولئن حدثتك بصدق تجد عن يميني الأرواح عني دنت من الله - عز وجل - والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أفرح ولا أيسر مني حين تخلفت عنه . قال : فقال رسول الله - ﷺ - : أما هذا فقد صدق . فقم حتى يقضى الله عليك ، فقامت ، وقام إلى رجال من بني سلمة وشعبي . فقالوا : والله ما علمت . كنت أدبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون أحدت رسول الله - ﷺ - . فما اعتصم به المستمعون ، فقد كان كافيكم من ذنبك استعذار رسول الله - ﷺ - . قلت : قال : فوالله ما والوا يؤسوف حتى أردت - أرجع ما كذب نفسي . قال ثم قلت : هل لكم مني هذا أحد ؟ قالوا : نعم ، شبهت معك رجلاً فلا من ما كنت رقيباً ما مثل . قيل لك ، فقلت : ممن هما ؟ قالوا امرأة بن الربيع العامري ، وهلال بن أبيه الواقفي . فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا في فبهما أسوة .

وهذا الحديث بقية صيغة تروى ما عناه هؤلاء الثلاثة من امرأة وعداب لمدة خمسين يوماً عن رسول الله - ﷺ - . فيه عن كلامهم وأمرهم واعتزال سائرهم حتى نزل



## عواقب الإعراض عن ذكر الله

من فضائل القرآن العظيم : تلك القضية التي سجلها كتاب الله الكريم من بدء الحليمة إلى يوم أن برت الله الأرض ومن عليها : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [ طه : ١٢٣ ] .

إن قوى الأبواب المستعصمة ، وأقول لأندة المستعيرة ، إذا ما طرحوا هذه القضية على بساط البحث ، وتحلوا بخزائن فكرهم ، وقدموا زناد عقولهم : وجدوا القضية ثنائية ، فالناس فريقان : فريق اتبع الهدى . وفريق أعرض عن الذكر .. فريق اعتدى ، وفريق غوى فهوى .. فريق سلك الطريق المستقيم ، وفريق تفرقت به السبل فضياع في بيضاء الحياة . وقررت على كفى من الفريقين نتائج محسنة ، ولقد تكلمت به بما سبق - عن نتائج الفريق الأولى ، وفريق المهتدين ، وثلاثاً إليها في محورها تدور حول هذه الأمور التي سجلها الكتاب العزيز :

١ - لا خوف عليهم .

٢ - ولا هم يحزنون .

٣ - لا يضل .

٤ - ولا يشقى .

ثم تأتي نتائج ترتب على سلوك الفريق الآخر ، فتسجل سورة البقرة : هذا الفريق الذى يقال فريق الممتهدين بأنهم الذين كفروا وكذبوا بأيات الله - قال جل شأنه : ﴿ فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بأيات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [ البقرة : ٣٩ ] .

فهذه الآية المقابلة لآية الهداية تسجل على الفريق الآخر - إذا أدى به إعراضه إلى الكفر والتكذيب - تسجل عليه الخلود في النار ، لأن الإعراض والعزوف عن اتباع الهدى - هدى الله - قد يكون طريقاً إلى التكذيب بأيات الله ، أو استكبار عن أمره ،

فهم قول الله - عز وجل - : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ﴾ . [ الآية ] . قال كعب : فوالله ما أنعم الله على من نعمة تش بعد أن هدانا للإسلام ، أعظم للنبي من صدق رسول الله - ﷺ - يومه أن لا أكون كاذبه وأهلك كما علك الذين كذبوه ، فإن الله - تعالى - قال للذين كذبوه حين أزل الوحى شر ما قال لأحد حيث قال جل شأنه ﴿ سيجلفون بالله لكم إذا انتظمت إليهم لعرضوا عنهم فأعرضوا منهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ... ﴾ [ الذرية : ١٥ ] الآية .

إن البيان بجز ، واللسان يكل ، والبلاغة تسلم أمناً ، والقلب يفتح أمام هذا الخراب المقدس ، ولا نيك الإنسان تعبيراً يعبر به عن هذه القرية إلا أن يقول : لا عجب ، فإنهم أصحاب عمدة - ﷺ - تهلوا من منتهى العذاب وتعلموا في مدرسته العظمى أن الصدق صفة من صفات الله ورسوله ، فحشعوا هذا البلاء العظيم : حمر حسين يوماً ، وحمر نسائهم لهم بعد أربعين يوماً ، وشكر الخنوع حتى شروا أن الأرض التي يعبون فوقها قد تكبرت هي الأخرى عندما صابت عليهم نار حيث وصافت عليه أنفسهم !! إنها رقابة الله عليهم ، إنها قلوبهم السليمة وصبرهم البشلة معه الإسلام مصدقاً لأن الصدق حجة .

صلى الله عليك الله يا عالم الهدى وعلى ال بيتك الأظهر الأبرار وعلى أصحابك أحرار ومن اتبعك بإحسان إلى يوم الدين .



وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليكثر من ذكر المقابر والبل ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا .

ثم يقول - <sup>سورة</sup> : ه الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواه ، وتحنى على الله الأمان .

هكذا دخل آدم وزوجه الجنة ، وهكنا أكلنا من الشجرة . وهكنا هبطنا إلى الأرض ، لنماذج مختلفة ، والحياة صراع مستمر ، وعراك دائم بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل .

لقد صدر الحكم من الله أن تحيى البشرية في هذه الأرض ، وتموت فيها ، وتخرج منها يوم القيام . قال الله تعالى : ﴿ قال فيها تحيون ، وفيها تموتون ، ومنها تخرجون ﴾ . وقال أيضاً : ﴿ منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ [ طه : ٥٥ ] .

ولقد نذرك الحق بلطف مره أمل لأرض ، فكان من مظاهر لطفهم أنهم أنه عفاً ، ومحبهم حواس وقوى ، ووهبهم فطراً ، وبعد ذلك لم يتركهم مهلاً . فقد نبّل لطفهم ، فأرسل لهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [ النساء : ١٦٥ ] . وشابت رحمته أن يكلف العباد بأمر في حدود طاقتهم : ﴿ يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ﴾ . ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [ الحج : ٧٨ ] . ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم حليماً ﴾ [ النساء : ٢٩ ] .

فلو أن العباد تركوا وشأنهم يشرعون لأنفسهم ما ثلّيه عليهم عقوبتهم : لربموا في حيرة الظلام ، واضطربوا بهللاام الحيرة ، فالعقول مختلفة متضاربة متنافسة مما يراه هذا حساً يراه غيره قبيحاً ، وما يراه هذا عدلاً يراه غيره ظلماً ، وما يعتقد هذا حقاً قد يراه غيره باطلاً ، وبين هذا التضارب في هذا الحفتم المتلاطم تهبى البشرية في فاع المحيط ، ومن ما جاء القانون الترانى الخالد : ﴿ قال ابطأوا جميعاً ، بعضكم لبعض عدو . فإما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ، ولنشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

كذلك من مظاهر لطف الله بعباده أنه رفع القلم عن ثلاث : عن العسى حتى يحزنم وعن المجنون حتى يفتق ، وعن النائم حتى يستيقظ . ورفع عن الخفأ والنسيان وما استكرهنا عليه ، فليس لأحد بعد ذلك أن يرمى أحكام الله أنه لا يلقى بها . للأحكام عادلة ، والشرعة سمحة ، وطريق الإسلام أبلج على المحنة البيضاء . ليلها كبرها .

لها اخا الإسلام :

تزود من القوى فأبئك لا تدرى إذا جن ليل : هل تيسر إلى الفجر  
فكم من فنى أمسى وأصبح ضاحكاً وقد نسجت أكفانه وهراً لا يدري  
وكم من عروس ذبنوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم بينة القدر  
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسادهم طئمة القبر  
وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## توجيهات ربانية

انظر إلى لطف الله بعدما حكم للبشرية أن تعيش في هذه الأرض . حافظ آدم . وقال : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سوءاتكم وديناً ، ولباس النضوى . ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ [الأعراف : ١٦٦] . فإذ ما نزلت البشرية هذا السر الذي أود أن يسر سرها بها ، فإلما من هذا السر تحذر إلى الحفيظ ، لأن الرسول - ﷺ - حذر من المرى فقال : « إياكم والعري ، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الحاجة ، وعندما يقضي أحدكم إلى أهله ، فاستحيوهم وأكرمهم » حتى بلغ من أدبه - ﷺ - أنه أمر الرجل أن يسر إذا أتى أهله ، فقال : « إذا أتى أحدكم أهله فليستره » . ولو خلا الإنسان بنفسه وعنه أيضاً أن يسر . كما أحر الرسول - ﷺ - بأن الله يراك . والله أسبق أن يستحي منه ، ثم يأتي ليس النضوى وهو السراج الأنوى .

إذا المرء لم يلبس ثياباً من النشى فقلب عرباناً ولو كان كاسياً وغير لباس المرء طاعة ربه ولا خير في من كان لله عاصياً

ولقد حذر رسول الله - ﷺ - يوماً من النساء لا يدخلن حج الحجة . وحينئذ كنن كاسيات عاريات ملات من مبال . وفيها كنيسة البحث ، لا يدخلن الحجة ولا يجدن رهنها فإذا ما عشت المرأة رهنها ، وألفت نوبتها في حور بيت زوجها - روت منها ذمة الله .

أما إذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها يوم القيمة : ادخلي الجنة من أي أبوابها الشاهية شئت

ثم يأتي الموقف الذي بعد هبوط آدم من الجنة حيث يذبح القرآن الكريم حد التحريم الشديد : ﴿ يا بني آدم لا يفتككم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يريخ شهيا لابسهما لبساً سوءاتها . إنه يراكم هو وقيله من حيث لا ترون » [الأعراف : ٢٧] .

وهذا مصباح مبر يفتل المعاذير للعباد أمام الله . يقول جل شأنه في بعض مواقف القيامة : ﴿ وما تذكروا اليوم أيها الجرمون . ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وإن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ [يس : ٦١] .

بل إن الشيطان نفسه سيفعل على مسرح القيامة ويصبح : ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن أدعوتكم ، فاستجيب لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي . إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ (براهيم : ٢٢) . وقال جل شأنه : ﴿ فلما تراءت الثنات لكسر على عقبيه ، رقال إلى برى منكم . إني أرى ما لا ترون . إني أخاف الله ، والله شديد العقاب ﴾ [الأنفال : ٨] .

وقال سبحانه : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ [الحشر : ١٦] .

ولم يكن التحذير قاصراً على شيطان الجن وحده ، بل الشيطان على شتى صورته إنسياً كان أو حياً . لقد مثل أهدا العارفين بالله : أيهما أشد عليت ؟ قد : شيطان الإسر . لأن شيطان الجن إذا استعدت بالله ولي هرباً .

لذلك يفر القرآن الكريم بين الشياطين مقدم شيطان الإسر في قوله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكى نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ [الأنعام : ١١٦] . وذكر العلاج عند مريخ كل منهما . قد في سورة الأعراف : بين علاج شيطان الجن : ﴿ وإما ينزغتك من الشيطان فرغ فاستعد بالله إنه سيعي عليك ﴾ . وقال في شيطان الإسر : ﴿ حذ العفر ، وأمر بالعرف . وأعرض عن الجاهلية ﴾ . قال رسول الله - ﷺ - لما نزلت هذه الآية : قلت يا جبريل أخبرني عنها ، قال : لا أدري حتى أسأل رب العزة . ثم هبط على سيدنا رسول الله - ﷺ - فقال له : « أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » .

وفي سورة المؤمنون يقول الله تعالى في دواء كل منهما : يقول في علاج شيطان الإسر : ﴿ ادفع بالنشوى أحسن السنة ، نحن أعلم بما يصفون ﴾ [المؤمنون : ٩٦]

ويقول في علاج شيطان الجن : ﴿ وفل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ .

ويقول في سورة ( فصلت ) في علاج شيطان الإفس : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [ فصلت : ٣٥ ] ، وفي علاج شيطان الحس في نفس السورة : ﴿ وإما ينزغ الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [ فصلت : ٣٦ ] .

والقارئ الكتاب الله المنس في آيات بعد إذاعة القرآن الكريم لا تكف عن إصدار بياناتها ضد الشيطان وأعماله ، فعندما يقول القرآن الكريم : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ يصدر من هذه النعنة الشنيعة وهي الشرك ، ثم يرفع الستار ، ويكشف القباب عن نشاط الشيطان في هذا المجال ، فيقول جل شأنه : ﴿ إن يدعو من دونه إلا أنا ، وإن يدعو إلا شيطاناً مريداً لعهده الله ﴾ . ثم بعد ذلك يبرز أمام العين ما قاله ذلك الرحيم حتى لا يكون مرأى مكروناً في ضمير العبد فيقول سبحانه : ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ﴾ [ النساء : ١١٨ ] . ثم يبيّن كلام بعد ذلك عن الشرف الذي يأخذ بها ذلك النصب المفروض ، فيقول جل شأنه : ﴿ ولأصلنهم ولأمنهم ولأمرهم فليستنكحن أذان الأنعام ، ولأمرهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً . يادهم ويحبهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ [ النساء : ١٢٠ ] .

ثم يصدر الحكم الخامس الحازم لأنواع هذا الصل الفضل من الشياطين فيقول : ﴿ أولئك ما أرادهم جهنم ، ولا يحدون عنها محجاً ﴾ [ النساء : ١٢١ ] .

ثم تأمل جلال القرآن وجماله وهو يؤكد عداوة الشيطان للإنسان فيقول : ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ ثم يقول : ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ . ثم يؤكد هذا الخطاب فيقول : ﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ .

ويذكر تحريف البشرية عن طريق الله . فإن الشياطين تصير لهم مربية . ويصيرونها مشعين وتقوم بين هؤلاء وأولئك ولاة وصلوة . اسمع إلى كلام الله وهو يقول في حق الشيطان : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [ الأعراف : ٢٢ ] .

وحين تقوم هذه الرواية بين الفريقين ينشئ الشيطان عن السنة أتباعه أصحاب الباطنة وأمراء والكهنة : لقد كان العرب في جاهليتهم يعطون باليت عرافة الأحكام - سواء ورحدلاً - فبأنه سموا عن ذلك قالوا : هكذا كان يفعل آهؤنا والله أمرنا به . ولم شفعوا هذه الخلق يصير هو المذبح من البيت قدسوا : إن نيات هذه التي قلبت بها الخلق وأمرهم ، لا يبين أن يعرف بها . وعندك يتصدى له القرآن فيحفظ صحبه . ويحمر شبيهه . يقول تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آية ، والله أمرنا بها . قل إن الله لا يأمر بالفحشاء . أنقولون على الله ما لا تعلمون . قل أمر ربي بالقسط . وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين ، كما بدأكم تعودون . فربما هدى ، وفريقاً حق عليهم الضلالة . إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ [ الأعراف : ٣٠ ] . ثم ينشئ ما نصوره فيقول : ﴿ يسي آدم صديراً زينك عند كل مسجد ﴾ [ الأعراف : ٣١ ] .

ويذكر تحريف البشرية بين الشيطان له سوء عملها فراه حسناً ، نفسه عن مسير ش . فإن حينئذ ﴿ رؤين مع الشيطان أعمالهم فصدتهم عن سبيل قومه لا يفلتون ﴾ [ البقرة : ٢٥ ] . وقد جل شأنه : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ . ويروى أيضاً سيده ذات ذات شياكة وحباله فتشبهه . . يقول جل شأنه : ﴿ فهل عسيه إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصلبهم وأعسى أضلهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ .

ونقد أتى شيطان عن عهده ألا يفت موقت الصبح لأي مؤمن . فقد جاء في كتاب نهجس إليس : للإمام من الجوزي ، أن يحيى ابن زكريا عليه السلام رأى الشيطان ذات يوم فقال له : أعدك ما تستطيع أن تشغلي به ؟ قال الشيطان : لا أجده إلا أن تأكل كثيراً وتشرب كثيراً فانه كثيراً وتأخر الصلاة عن وقتها . قال يحيى - عليه السلام - : ولا أشبع بعد اليوم قط . قال الشيطان : وأنا لا أنصح بذلك أحداً .

## من أعرض عن الله سلك طريق الشيطان

إن نتائج الإعراض عن ذكر الله تجل عن الحصر لأن مسائل الشيطان مع الإنسان متعددة . إليكم تفسير ذلك :

إذا كان الله - تعالى - يقول : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ فَلَيْسَتْ الرُّؤْيَا هُنَا قاصرة على رؤية العين ، وإنما تعداها إلى الرؤية العسية . أى أن الشيطان يعلم المسالك التى يدخل بها عليكم من حيث لا تعلمون مسالك ومسالك قيله . وللشيطان من المسالك الكثير المتنوع : هو ثالث الشريكين إذا حان أحدهما الآخر ، وهو الثالث للرجل والمرأة الأجنبية إذا خلا أحدهما بالآخر ، وهو الواقف أمام الإنسان إذا أراد أن يتصدق ، يعدة بالفقر ، ويأمره بالفحشاء وهو الدافع للإنسان إذا تلقى زوجته صباحاً أن يأتيها مساء ، وهو الذى يوقع العداوة والبغضاء بين الناس فى الحرم والمiser ويصدحهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهو الذى يقف أمام ماعز الخير فى أى وجه من وجوهه يدعو إلى عبادة الدرهم والدينار والخميمة . يقطع الرحمة ويزيد العلاء ، وهو اليرف أمام الجاهل بذكره بماله وولده وزوجه ، يقول : ألتقى بنفسك فى الفلاك وتترك مالك وأهلك وولدك ؟ وهو الذى ينسى الإنسان أوقات الصلاة ويبقى عليه بالكسل ، فإذا ما دخل الإنسان الحلاء ذكره بربه ، ويحاول أن ينفى بآيات الله على لسانه فى مكان لا يليق فيه ذكر الله ، وهو الذى يرسل موجاته غشوية المليئة بالسواوس ، يعرض الدنيا أمام الإنسان ، وهو واقف بين يدي الله فى الصلاة ، ولذا قال موسى - عليه السلام - : يا موسى تذكرنى ولا تنسى ، إنك إن ذكرتنى شكرتنى ، وإن نسيتنى كفرتنى . قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۖ ﴾ [ البقرة : ١٥٢ ] .

ولقد ساق صاحب كتاب « تلييس إبليس » والعلامة ابن كثير فى معنى قول الله - تعالى - : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۖ ﴾ [ الحشر : ١٦ ] .

وجاء فى هذا الكتاب أيضاً أن بعض الصالحين سأل الشيطان : كيف حالك اليوم مع الناس ؟ فقال الشيطان : كنت بالأمس أعلمهم ، ولكننى حسرت اليوم أنعلم منهم ! ولا عجب فقد قيل لأحد العارفين بالله : هل يكف الشيطان عن الفتوى ؟ فقال : إذن لا مفرحنا .

اللهم احفظنا بحولك وقوتك من الشيطان الرجيم واجعلنا من عبادك المخلصين .  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

سافاً أمثلة تكاد تنحصر لما الأسكباد لكبد الشيطان : قال العلامة ابن كثير في رواية عن ابن جرير عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : إن راعياً بعد سنين مئة ، وإن الشيطان أراد أن يغويه ، فعند إلى امرأه فأجبه ، وغا لحوة . فقال لإخوته : عليكم بهذا الراحب فيداوبها ، قال : فجاوبوا بها إليه . فذاواها . وكانت عده فيها مر يوماً إذ أعجبه ، فأتاها ، بعد أن أغواه الشيطان ، فحملت ، معه إليها فقتلها ، وجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراحب : أنا صاحبك ، إيت قميني . أما سمعت هذا بك ، فأطعن أنفك فما سمعت بك ، فاسجد في سجدة ، فسا سجدة ، قال : ثم إلى برقيته ملك ، إلى أخاف الله رب العالمين ﴿ [ الحشر : ١٦ ] .

وفي قوله تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ [ الزخرف : ٣٦ ] ، نجد الكثير من الكسور الربانية . الشيطان إذا تمكن من الإنسان ، قد يصحح الإنسان أستاذاً له ، ويصحح الشيطان تابعاً له : ألم نر يا أخى إلى ذلك العالم من بنى إسرائيل وبدعى ، بلعام من باعورا ، كان حيرة كبيراً ، وسع من ثمة نبي الله مرسى به أن أوبده إلى أهل مدين يدعوهم إلى الله ، ويهذب ، بلعام الخير ، ورشداً وهادياً ، ويهذب الشيطان منه هادياً غيماً ، ومضللاً ويخصم للدود ، فيعري أهل مدين أن يقدموا له المال في سبيل أن يكف عن هذا الكلام ، ويترك موسى ودعوته . معرضين عليه المال ، وما أدراك ما المال ؟! سلاح قتال . فذهب برقيته الذي يهذب بالفتنة ، واللفظة رتيبة الذي يسبل له ألعاب الضمائم . وتمكن الإغواء والإغراء من قلب ، بلعام ، فقتل المال ، وترك الدعوة ، وجفا موسى وربه .

وبسجل القرآن هذا الدرس ليقفه صاحب الرسالة المعصية ، ليكون فيه مثل والعبرة ، قال جل شأنه : ﴿ واتل عليهم لباً الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لوفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه ، فمثلته كمثل الكلب ، إن عمل عليه يلهث أو تركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا . وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ [ الأعراف : ١٧٧ ] .

اقرأ هذا المشهد من القرآن ، فإبه مادرة نفس البشر دروساً لا تسي . ونقص على الناس العبرة الأولى الألياب . إنه ما الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها . فف عند قوله

- تعالى : ﴿ فانسلخ منها ﴾ فإن هذه الكلمة أثرها الكبير ، وسفراها . فبطل الكتاب العزيز ، فانسلخ منها ، أو فتركها وإنما قال : ﴿ فانسلخ منها ﴾ والسخ كما يقولون . كشد الجلد عن اللحم . فلو أن هذا الرجل انفصل عن الآيات أو تركها ، لكان من المعاصرين يعود إليها يوماً . ولكن لفظه الاستسلام ، أفاد أن عودته إليها أمر غير محتمل . كما لا يمكن أن يعود الجلد إلى اللحم بعد سلخه ، كذلك أفاد هذا اللفظ أن آيات الله كانت ترتبه وتبده للناس جبلاً في طعته وسمائه ، كما يزهد الجلد لحمة . فلما اسلخ من الآيات أصبح قبيحاً دميماً ، كما يمدو اللحم بعد كشط الجلد عنه .

وبعيد هذا السلف أيضاً أن آيات الله كانت تحبه من عبادي الزمن كما يحس أحد حمة . فلما انسلخ منها أصبح عرضة للعوادي وعير على الإغواء . واستنونه الشيطان في الأرض حيران . ثم ألقى نظرة أخرى على قوله تعالى : ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ وكيف جاء العطف بالفاء - التي تفيد الترتيب والتعقيب - كأن الشيطان انتبهها فرصة بمجرد أن نسلخ هذا الإنسان من الآيات فأتبعه .

ثم أرجع البصر كرتين في قوله تعالى : ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ ولم يقل تبع الشيطان . وفي هذه غريب عرفة مألوفة : أي أنه تأمل العواية في قلبه أصبح متبعها والشيطان تبعاً له . فلو أن ذلك من قوله تعالى : ﴿ فكان من الغاوين ﴾ وكيف جاء التعقيب . كما ، التي تليها كبحونة والاستقرار دون أن يؤدي ، فأصبح ، أو صار ، كأول هذا الذي من : استقر في العواية والصلال : ثم انتقل إلى الآية التي تليها وتأملها بعدد اسلخ هذا من الآيات بعدما صار الشيطان له تابعاً ، وهو أستاذ له . بعدما استقر في العوة - تحت شبهة لإخية بعد ذلك أن الله تعالى لو شاء لرغمه بالآيات ، ولكن حتى حدث له . يكن عنده أي استعداد لأن يرتفع بالآيات ، بعدما رضى بالحياة الدنيا . وأطعن به . ولكن إليها ، ومال إليها ، دون أن يكون هناك ضمير يؤنب . فومس تقوم .

في عروة العسير وقسوة العاقلة ، قامت النفس على هذه الشهوات ، وذهب وارب الخوف من الله بها : وما أجل هذا التركيب الفراق في أعمل طبقاته عندما يمر عن الدنيا بأب الأرض يقول : ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ [ الأعراف : ١٧٦ ] ، دون أن يقول : ﴿ ولكنه أخلد إلى الدنيا ، فالدنيا والأرض مسوان متلازمان لا أمان

لمن ركن إليها . ولا اضممان لمن تسرب بها إلى قلبه وملكت عليه أفطار نفسه .

ثم انظر : كيف استحكمت حلقات الغواية حول هذا الديو سنت وهو ، وكيف أحاطت به من كل جانب ؟ إنه بعد أن مال إلى الأرض مطمئنا لما عليه : اتبع هواه ، وما أدراك ما الهوى ! إنه نوازع النفس إلى مسالك الشر . وهوى النفس قد أمرا الطيب المذموم . ومن ثم فالقرآن الكريم يحذر من اتباع الهوى ، ومن طاعة من أصبح الهوى . قال تعالى لى حق الشركون : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ [ النجم : ٢٣ ] ، وقال جل شأنه ﴿ يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ ص : ٢٦ ] ، وقال جل شأنه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِيَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [ محمد : ١٦ ] ، وقال عز من قائل لى حق رسوله ﷺ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [ النجم : ٣ ] ، وقرن بين غلبة القلب عن ذكر الله وبين اتباع الهوى فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ مِنْ أَغْلَقْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [ الكهف : ٢٨ ] .

ومن هذه المقدمات .

١- آتياه آياتنا فانسلخ منها .

٢- فأتبعه الشيطان .

٣- فكان من الغاوين .

٤- ولكنهم أخلد إلى الأرض .

٥- واتبع هواهم .

فإننا نؤدى إلى نتيجة حتمية : إنها الحال المعجبة التى صورها الله فى « مثل » فقال جل شأنه : « لَعَنَّا كَمَثَلِ الْكَلْبِ » : ولكن الكلب فى أى حال ؟ إن الكلب قد يكون أمثلا لا يعرف الحياة لسيدة ، ولكن هذا أم أمثله خائرا الله فأذعنهم الله . وهذا يذكرنى بعادنة حوت أبهم رسول الله ﷺ : فقد مر ذات يوم فوجد رجلا قتيلا بالطريق ،

فسأل : « من قتل هذا ؟ » قالوا : يا رسول الله : إن الرجل سبلا عن نعم من ربه ، فخرج عليه كلب النعم فقتله . فعادنا كان تعليق السائق الأمين عن هذا الحادث : قال لى حق القتل ثلاث كلمات يجب أن تكون تذكرا ونعها أذا رعية . قال : « قد لنفسه . وأخضع ذنبه . وكان الكلب غيرا متدا » .

اللهم لا ترخ قلوبنا بعد إذا هديتنا ، وانعم لنا بالفتيات الصالحات أعمالنا ، وعسى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



## الهداية الربانية لا تستعصي على من أراها

وصف الله أهل النار بأنهم أصل من الأعداء ، لأنهم عطلوا الانتفاع بحراسهم وقلوبهم التي خلقها الله لهم وجعلهم بها ، قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، وهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم المفلون ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وهكذا : طلاب الدنيا ، والساعون لها ، المكذبون بأيات الله ، الغافلون المعرضون عن ذكره ، هم دائما في تعب : في ليالهم ونهارهم ، وصحتهم ومريضهم ، وغناهم وفقيرهم . إن أغلوا في الدنيا طلبوا المزيد ، وإن لم يعملوا فيها حرفة وإنتاجا ، وغر الحزم والخصب والوصب نفوسهم : لو كان لأحدهم واديان من من لا ينفي ثالثا ، لأن جوده لا يملأ إلا التراب ومن جابت الشجيرة العذبة التي يرحبها حلل العظمى في حديثه القديسي الخليل : « ابن آدم : عندك ما يكتفيك وأنت تطيب ما يطعبك ، لا تقبل لفتح ، ولا من كثير تطيع ، إذا كنت معالي في بدنك ، أما في سربك ، عندك قوت يورثك ، فعل الدنيا العفاء » .

قول كريم من رب كريم ، لا يعمل به ألا عبد كريم .

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنى بطغيا  
وغنى القوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

ويسجل أستاذ الإنسانية الأكرم هذه الحفيدة عن الدب ، ويقول : « إن هذه الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستطعمكم فيها ، فيطر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء » .

كذلك يقول عن المال : « إن هذا المال خضر حلو ، من أخذه يسخاوة نفس : يورث له فيه ، ومن أخذه باستشراف نفس : لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع » .

إن ميزان الناس إذا كان ميبا على كثرة المال والعرض ، فهو ميزان عرض ، وميزان معكوس ، لا يمكن أن تقوم به قيم ولا ترجع به كفة . إذا نظر الناس إلى المال وجعلوه الميزان لقيم الناس معكمهم غني صحيح وغير حائر : فقلد من رجل غني عن رسول الله ﷺ فقال الرسول ﷺ لأصحابه : ماتقولون لي هذا ؟ قالوا يا رسول الله : هو حري إذا شفع أن ألا يشفع ، وإذا غلب ألا ينكح ، وإذا قال أن لا يستمع له ، فقال رسول الله : « والله إن هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » .

ما أصل حكمك يا رسول الله . يا صاحب الخلق العظيم ، يا صاحب القلب رحيمة ، باراع لواء الوحدة حقا غالبا ! شتان بين الناس والمشهور لديهم أن الدنيا : أغلت على أحد ، خلعت عليه محاسن غيره فإذا أعرضت عنه : سلته تمانسته

يذل غنى النفس إن قل ماله ويغنى غنى المال وهو ذبل

هذه دروس في إحدى مدارس القرآن تفتيحها ، وعبر في ساعة الإسلام عرماها . ولذلك لم تكن الآيات فاصرة عرها على واحد معية - كذلك العالم لا سرائير - وإنما احكم مثل وعده لمن توافرت فيه الشخصيات ، لذلك حتمت الآية بقوله تعالى : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ .

لم غلب على ذلك القرآن العظيم بهذه الكنزة المرحزة في ميناها ، الكبيرة في معاها ، التي تفيد الذم : ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ [الأعراف : ١٧٧] ، حتى غلب من توافرت فيه تلك المميزات الخمسة أن يكون متبوعا ، والشيطان له تابع .

لم إن الله أثبت في هذه الآيات أن من كانت هذه حاله فهو الظالم لنفسه . لأن الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأخصهم ﴾ [الأفان : ٢٣] ، ﴿ ولو شئنا لرفعناهم بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ [الأعراف : ١٧٦] ، ذلك لأن الهداية الربانية لا تستعصي على أحد إذا وجد عنده الاستعداد المؤدى إلى الاستجابة لأمر الله ورسوله : فهذا عمر بن وهيب - الذي كان يلقب بشيطان قرش - يقطع الطريق من مكة إلى المدينة بعد بدر ، والعزم والتقصيم يدفعانه إلى قتل رسول الله ﷺ . فمما حدث بعدما وصل وحلست أمام سيدنا

رسول الله ﷺ ؟ لقد كان عنده نرسد وسيز إصرار على القتل ، ولكنه لما رأى الهدى : استجاب ، فهداه الله ، وأصبح داعية يدعو إلى الله تبارك وتعالى .

لترك ابن اسحاق يروى بسنده المتصل إلى عروة بن الزبير ، قال عروة : جلس عمير بن وهب مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر يسير وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين فريش ، ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب ابن عمير وأسارى بدر ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله ما لي العيش بعدهم خير ، قال له عمير : صدقت . أما والله لولا دين علي ليس عندي فضيلة ، وعيال أحشى عليهم الغيبة بعدى ، لركبت إلى حمص حتى أقتله ، فإن لي بهم غنة : أني أسير في أيديهم . قال : فاعتنمها صفوان ابن أمية فقال : على ذلك أنا أقصيه عنك ، وعيالك مع عيالي ، أواسيهم ما بقوا ، لا يسمي شيء ويحجز عنهم ، فقال له عمير : فاكثرت على شأن وشأنك ، قال : سأفعل ، قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشدله وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مصر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عبادهم ، إذ نظر عمر إلى عمير ابن وهب : ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حرض بين وحررنا بقوم يوم حر . ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ! هذا عدو الله عمير بن وهب وقد جاءكم متوحشاً سيفه ، قال : فأدخله علي ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ نعله بسيفه في عنقه ، فلبه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا أعياه من هذا الحديث ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ فصاروا رؤا الرسول ، وعمر أخذ بمقالة سيفه في عنقه قال : أرسه يا عمر ، إذن يا عمير ، فدنا ، ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت غيبة أهل الحاضرة بهم . فقال رسول الله ﷺ : يا نبي الله ! قد أكرمنا الله بنحية خير من نحييتك يا عمر ، بالسلام : نحية أهل الجنة . قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال الرسول ﷺ : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت هذا الأسير الذي في أيديكم أحسنو فيه . قال : فما بال السيف الذي في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف وهل أغت شيئا ؟

قال : أصدفتي ما الذي حدث له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك ، قال الرسول ﷺ : بل فعدت أنت وصفوان ابن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقفل محمداً . فحبل لك صفوان بدنك وعيالك ، علي أن تقتلي له ، والله حائل بينك وبين ذلك ، فقال عمير : أشهد أنك رسول الله . قد كذباً يا رسول الله كذبتك بما كنت تأتينا به من حير النساء ، وما يبرئ عييتك من زوجي ، وهذا أمر . بعضوه إلا أنا وصفوان ، والله إني لأعلم ما أنت به إلا الله ، وحسبي الله الذي هداني للإسلام ، ورسلي هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : ففهموا أخادكم في دينه ، وعلوم القرآن ، وأصلفوا أسيرهم ، فمعهم ، ثم قال : يا رسول الله ، إني كنت جاعداً على إضفاء نور الله ، شهد لأذي لم يكن عن دين الله ، والله أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي في دينهم .

فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج مكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أسير برفعة تأتكم لآ في أيديكم برفعة بدو ، وكان صفوان يسأل عن تركه حتى قدم رابك ، وأخبره عن إسلام عمير ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا يسمعه بلغ أبداً ، فلما قدم عمر - رضي الله عنه - مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويأذي من حمله أذى شديداً فأسمه على يديه أناس كثيرون ، وخرج المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : خيرهم كان أحب إلى من حين منع ، وهو اليوم أحب إلى من بعض من وبعد أن قدم عمر بن وهب مكة - بعد أن أسلم - نزل بأهله ، ولم يبق بصفوان بن أمية ، فأظهر الإسلام مودعاً إليه ، منع ذلك صفوان ، فقد : قد عرفت حين . يبدأ في قبل منزله أنه قد ارتكس وصياً ، فلا أكلمه أبداً ، ولا أسمع ولا عياله بناعة ، فوقف عليه عمير وهو في الحجر وباده ، فأعرض عنه ، فقال له عمير : أنت سيد من ساداتنا ، أرايت الذي كذا لي من عبادة حجر ، وذبح له . أهذا دين ؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ورَسُولُهُ . فله بيه صفوان بكلمة .

﴿ فانتظر إلى آثار رحمة الله كيف يهيئ الأرض بعد موتها إن ذلك لحى الموقى ،  
 وهو على كل شيء قدير ﴾ [ الروم : ٥٠ ] .  
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### مسالك الشيطان وإغواؤه

فيما مضى تحدثنا عن النتائج التي رتبها الله تعالى على اتباع هذه ، وذكرنا أن الله تعالى نهي عن هذا الطريق : الخوف والحزن والضلال والشقاوة ، ثم عشنا على ذلك بالكلام عن الطريق الآخر ، وهو المعرض عن ذكر الله ، وتكلمنا عن النتيجة الأولى المترتبة على الإعراض ، وهي أن المعرض عن ذكر الله مسلك لصريق الشيطان . وذلك كما جاء في سنن الكريه : ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن تفيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ [ الزخرف : ٣٦ ] .

واستدعى ذلك أن نسطر الكلام عن الشيطان وإغوائه وطرقه ومسالكه ، وكيف العصمة منه ، وإنما بسطنا الكلام في هذا الباب ، لأنه الله جل في علاه رسم للبشرية طريقها منذ أن هيئ آدم إلى الأرض ، ووضح مناهجها التي تسير عليها ، وذلك في قوله جل شأنه : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ [ طه : ١٢٣ ] .

ومن يوم أن أوحى آدم الجنة وسكنها . والشيطان يحاول أن يرسل التوساوس ويحبذ ويخند في إخراج آدم من الجنة . فظهرت غداوته ، واتضح خبثه لآدم وأما من بعده ، فناسب ذلك أن نسطر الكلام عن الشيطان ومكايده ، وذكر العاقبة الوخيمة المترتبة على السير في طريقه ، وأن الصالح مع الله هو طريق النجاة . ثم إن إبليس أشهر سلاح المصيبة ، وأمر على ذلك واستكبر ، وتولى كبر هذه المسألة عندما أمر بالسجود فأبى ، ثم أخذ يتوعد بنى آدم - لإغواء والإضلال ، والقعود على الصراط لهم ، وبمسالك الخير أمامهم ، فناسب ذلك التفضيل في تلك المقال : ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة ﴾ . وكان هذا نتيجة أولى ترتيب عن الإعراض عن ذكر الله ، وهو قوله جل شأنه : ﴿ تفيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ [ الزخرف : ٣٦ ] .

والآن نستطيع أن نتكلم عن نتيجة الثانية ، وهي قوله جل شأنه : ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ .

من المعلوم الثابت أن صريح القرآن ومنطوق آياته نعت أربعة أشياء عن منبغى هدى الله ، الذين علموا أن الصلح مع الله هو طريق النجاة . وهذه الأشياء الأربعة التي نعت عنهم هي :

- ١ - الخوف .
- ٢ - الحزن .
- ٣ - الضلال .
- ٤ - الشقاوة .

فإذا كانت الآيات في منظومها تنفي هذه الأربعة عنهم فيها في منبغىها تنبها للفريق الآخر ، فيكون المؤدى أن المعرضين عن ذكر الله يبشرون في الخوف والحزن والضلال والشقاوة . وهذه معان ظاهرة من النصوص الكريمة في مفهوم الآيات .

والنتيجة التي نحب أن نتكلم عنها الآن - فضلا عن هذه الأمور الأربعة التي ثبتت للمعرضين هي النتيجة الثانية ، بعدما ذكرنا أنها ، وهي المعيشة منك . وليس في الحياة شيء أمر على الإنسان من أن يعيش في منك وضيق . به حيث يتحشم الأوصاب ، ويتجرع كنوس العذاب . وماذا إلا لأنه أعرض عن هدى ربه . وجعل بينه وبين ذكر الله حاجبا مستورا . فيكون ماله أن يعيش في ضنك عندما يحب محسا وينسى محسا : يحب المخلوق وينسى الخالق ، ويحب المال وينسى الحساب ، ويحب الفسور وينسى القبور ، ويحب الدنوب وينسى التوبة ، ويحب الله وينسى الآخرة ! يعيش في ضنك عندما لا يعرف الإسلام إلا اسمه ، ولا المصحف إلا رسمه ، وإذا صار همه بطنه ، وقبله نساءه ، وإذا رأى غيره : حسده ، وإذا توارى عنه : اغتابه ، وإذا صارت السنة عنده بدعة ، والبدعة سنة !

ولقد حذر الرسول - ﷺ - من ذلك فقال : « إذا فعلت أمشي خمس عشرة خصلة حل بها الهلاك » ، قبل ما حن يا رسول الله ؟ قال : « إذا كان الغنم دولا ، والأمانة مفقدا ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبر صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أذلهم ، وأكرم الرجل مخالفة

شره ، وشرب الخمر ، وليس الحرير ، واتخذ القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولا ، فليترقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا مسخا ، رواد شرمذى .

وهكذا يفتح الرسول - ﷺ - هذه الصورة المفصلة بين فيها حال من مجتمع ، إذا ما دبت فيه هذه الأمور ، واستشرت فيه تلك الرذائل ، ماذا يكون مصيره ؟

- ١ - حل بهم هلاك .
- ٢ - ريح حمراء .
- ٣ - الخسف والسبخ .

وكي هذه الأمور الثلاثة أو الأربعة تندرج تحت قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ﴾ . رأى ضيق في العيش عندما يحل الهلاك ، وتنتشر الأمراض بالريح الممرضة المزعجة ، ويتزل الخسف بالسبخ ، ويحل بهم المسخ ١٩

من قرأ هذه السورة الكريمة من سور القرآن - وهي سورة الأعراف - يجد فيها قد اشتمت على حقائق تاريخية . وروائع مولود بها الأمم أعرضت عن ذكر الله ، فإذا كان مصيرهم ! أرسل الله رسلا مبشرين ومنذرين . علموا في معسكر واحد هو معسكر التوحيد . وانصروا تحت راية واحد . هو قول : لا إله إلا الله . والصورة بالغة الروعة في عرضها لتاريخ التاريخ ، وشرحها وتفصيلها للأسباب التي أدت بالأمم إلى أن ينزل بهم الخسف والسبخ ، ويحل بهم الهلاك والريح الحمراء . فعندما ذكر الله قصة آدم وهبوطه إلى الأرض ، بدأ بالحديث عن نوح وقومه ، وكانت العاقبة : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبَعُوا الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ، وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [ الأعراف : ٦٤ ] . ثم بعد ذلك ذكر هود وقومه ، وكانت النتيجة : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأعراف : ٧٢ ] .

وذكر صالحا وقومه ، ثم كانت النتيجة : ﴿ فَفَعَقُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، وَقَالُوا يَا صَالِحُ اتَّبِعْنَا تَعَذُّنَا إِنَّا كُنَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ . فَقَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلَكِن لَّا تَحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [ الأعراف : ٧٩ ] .

وذكر لوطاً وقومه وكيف دعاهم إلى الإصلاح الاجتماعي ، ونذ الرذائل ، فكانت النتيجة : ﴿ فلما كان جواب قومه إلا أن قالوا : أخرجهم من قريبتكم إنهم أباس يتظاهرون . فأنيباده وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً ، فأنظرنا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ [ الأعراف : ٨٤ ] .

وذكر شعياً وقومه . وكيف دعاهم إلى الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي وذكرهم بنعمة الله عليهم ، فماذا كانت النتيجة ؟ ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعبدن من ملنا ، قال أولو كما كارهين . قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذا نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعبد فيها إلا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شيء علماً ، على الله توكلنا ، وبنا الفتح بيننا وبين قوما بالحق ، وأنت خير الفائزين . وقال الملأ الذين كفروا من قومه لنن ابعم شعياً إنكم إذا لخاسرون فأخذهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جائعين . الذين كذبوا شعياً كأن لم يفنوا لها . الذين كذبوا شعياً كانوا هم الخاسرين . فنزل عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي ونصحت لكم . فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ [ الأعراف : ٨٨ - ٩٣ ] .

هذه دروس في التاريخ فعلمها الكتاب الحكيم ووفائهم أم مضيت وبفت شهادتها وأنارها على الأرض . قال تعالى : ﴿ وإنكم لترون عليهم مصحين . وبالليل أفلا تعقلون ﴾ [ الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨ ] .

وبعدما نفي هذه الدروس بين سنة الله البالغة في خلقه ، وهي ثابتة لا تتخلف ، فقال جل شأنه : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [ الأعراف : ٩٦ ] .

لقد حذر الرسول - ﷺ - من أمور قال في إحداها : « لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في سلافهم » ، وقال في ثانيها : « ولم يعمروا زكاة أموالهم إلا امتنعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا » ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان » .

واقه تعالى يقول في الحديث القدسي الجليل : « أنا الله لا إله إلا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوب الملوك في يدي ، وإن العباد إذا أطاعوا حولت قلوب ملوكهم

ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن العباد إذا عصوا حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والقصة ، فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على ملوككم . ولكن اشغلوا أنفسكم بذكرى ، والتقرب إلى : أكتفكم ملوككم » .

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان والإسلام ووفنا إلى ما به عيبت ورحمت وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

يخبر الرسول - ﷺ - من أمور أخرى تهدد وقوع البلاء باختر فيقول : « لا يزي الزاني حين يزي وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » . ولما كانت الخمر أم الكبائر ، فقد كانت كنسات الرسول فيها كأنها الرعود القواصف . فاسمع إليه يقول : « لعن الله الخمر وشاربها وسالطها ومبتاعها وبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها واغتملة إليه ، وزاد : ( وأكل ثمنها ) .

وتد أندر الرسول - ﷺ - وأوعد بأمور قد أحدث لغوهم عنكموا عن شعبة . فاسمع إلى قوله في الحديث الشريف : « يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب وهو رطب ، فيصبحون قد مسخروا قردة وحازير ، ليسيهم خسف ونسف ، حتى يصبح الناس فيقولون : خسف الليلة بني فلان . وخسف الليلة بدار فلان خواص ، وترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط . على فئات فيها وعلى دور ، ولرسول عليهم الرج العقيم التي أهلكت عاداً على فئات فيها وعلى دور ، يشربهم الخمر ، ليسهم الخمر ، واخذهم القينات . وأكلهم الرما . وقطيعتهم الرحم » رواه أحمد وابن أبي الدنيا والبيهقي .

ويزيد الرسول - ﷺ - هذه الأمور تحديراً فيقول : « من ربي أو شرب الخمر : نزع الله منه الإيمان كما ينزع الإنسان القميص من رأسه » .

والذي يتصفح السنة المعهدة ويقلب في سطوها يجد من الدعوة إلى الإصلاح والتحذير من المعاصي التي تكون سبباً في إزوال البلاء والمعيشة الفسك . تجد ما يحفره ويهدمه إلى أن يقف أمام الهدى التبرى سامعاً ومطعماً وملهماً ، وشاكراً لرسول الله - ﷺ - فضله . وهذا حديث عندما قرأته شعرت كأنني أعقد وأروح كالطير يشي من الألم وهو مذبح . قال رسول الله - ﷺ - « إذا استحللت أمي خمساً فعليها الدمار :

إذا ظهر التلاعن ، وشربوا الخمر ، ولبسوا الحرير ، واتخذوا اللباس ، واكتفى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء .

وفي شرب الخمر تنفع الأضرار الآتية :

- ١ - تنزع من الشارب أنوار الإيمان حين شره .
- ٢ - استحق لعنة الله وطرده من رحمته .
- ٣ - شربها يدعو إلى جلب المصوم وتضييق الأرزاق .
- ٤ - لا يقبض على شربها إلا العاصي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر .
- ٥ - شربها يخرج إلى الوقوع في ارتكاب المعاصي كلها .

٦ - يعذب الله الشارب ما يوم القيامة .

٧ - حرم الله عليه الجنة إذا شربها مستحلا لها .

٨ - عقاب شارب خمر كعذاب عائد القوم .

٩ - ينشر يوم القيامة شهيد الضمير .

١٠ - لا يقبل الله منه عبادة أربعين يوما .

١١ - شارب خمر يستحق الإهانة والازدراء والتحقير والخذل كما قال الرسول - ﷺ - : « لا تسلموا على شربة الخمر » .

١٢ - شارب خمر يخل عليه غضب الله ، ولو مات في هذه الحالة حرم من ثواب الله ورحمته .

١٣ - المسكران إذا مات على حالته بعذبه الله مسكرا ويذوق مرارة معه هذا في قبره .

١٤ - شرب الخمر إحدى الخمصال المدمرة المائدة المذهبة للثروة المضبغة للفقير ، الحالة للقسمة .

وكل هذا مدرج تحت قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَمْسَسْكُمْ ﴾ ومن ثم فإن

الرسول - ﷺ - أن نصحه ينهي عن هذه الموبقات . استمع إليه وهو يسلح ألى الدرداء فيقول : « لا تشرك بالله شيئا ، وإن قطعت ، وإن حرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا ، فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب خمر ، فإنها ملهات كل شر . » وقد بلغ من حذر الصحابة وخوفهم من أن يفتروا شيئا من هذه الأشياء المؤذية أن جلب غضب الله واستحقاق نزول نقسه - بلغ من حذرهم في هذا الشأن أن بعضهم كان يسأل الرسول - ﷺ - عن امرئ يفعل ، وبعضهم يسأله عن امرئ لم يجتبه ، فإن من لا يعرف الشر أخرى أن يقع فيه . فهذا اجتماع بين بعض الأمصحاب - بعد وفاة الرسول - ﷺ - . ولذلك احدثت الذي دار به حتى تقف على مدى حرص هذا المجتمع على سلامة ماوسع معارها : سلامة القلب وسلامة النفس . وبطاقة الحواشي . وإليك هذه الصورة الحقيقية :

روى سالم بن عبد الله بن أبي : أن أبا بكر وعمر وأبا سفيان جالسوا بعد وفاة النبي - ﷺ - فذكروا أعظم الكبائر ، فلم يكن عندهم منها علم ، فأرسلوا إلى عبد الله بن عمر أسأله ، وأخبروا أن أعظم الكبر : شرب الخمر ، وأثنيها وأخبروه ، وأكبروه ، فأتوا إليه جميعا ، حتى أتوه في داره فأخبروه أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن ملكا من ملوك بني إسرائيل أحد رجلا فخيرته بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفسه أو يزني أو يأكل لحم خبيث أو يخلوه ، فاختار الخمر ، وإنه لم يشرب الخمر لم يمتنع من شيء ، أرادوه منه . » وأن الرسول - ﷺ - قال : « ما من أحد يشرب الخمر ولا تقبل له صلاة أربعين ليلة . ولا يموت وفي مثالبه شيء ، إلا حرمت بها عليه الجنة ، فإن مات في أربعين ليلة : مات ميتة جاهلية . »

وفي هذا المثل يروى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « اجتنبوا أم الحيات ، فإنه كان رجل من كان فلكم بعد ، ويعزل الناس ، فعلقه امرأة فأرسلت إليه حامدا : إنا ندعوك لشهادة ، فدخل ، فطقت كلما يدخل بابا أغلقته دونه ، حتى إذا أقضى إلى امرأة وضئته جالسة وعندها غلام وباطلة فيها خمر ، فقالت إنا لم ندعك لشهادة ، ولكن دعوتك لقتل هذا العلام أو تقع على ، أو تشرب كأسا من خمر ، فإن آيت صحت بك وفضحتك . قال : فله

وأى أنه لابد له من ذلك قال : استغنى كؤسا من الحمر ، فسقته كؤسا من الحمر . فقال : زيدني ، فلم تزل حتى وقع عليها ، وقتل النفس .

فاجتسروا الحمر ، فإنه والله لا يجتمع إيمان وادمان بحمر في صدر رجل أبدا ، وليوشكن أحدهما أن يخرج صاحبه .

ويستمر الرسول - ﷺ - في بيانه وإرشاده في تطهير النعم ، والأخذ بيده في السعادة ، وتحذيره من الوقوع في الفناذورات ، فيذكر بهذا الإنذار الشديد الحارس فيقول - ﷺ - : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولا ينظر إليهم ، وهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب وعائل مستكبر ، ويزيد الرسول - ﷺ - في بيان هذه الموبقات وأنها تبغض صاحبها عند الله فيقول : أربعة يغضبهم الله : اليباع الخلف ، والفقير الغتال ، والشيخ الزال ، والإمام الخائر .

ومن الموبقات التي تورث صاحبها غضب الله ، ما جاء في قول الرسول - ﷺ - : أياكم وعقوق الوالدين ، فإن ربح الجنة يوجد من مسرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زان ، ولا حار إزاره حيلة ، وإنما الكبرياء ، الله رب العالمين .

وقد حذر الرسول - ﷺ - من إنشاء العذاب بالأمة ، ثم ينشئ بهم ويد الزور ، فإذا نشأ بهم ولد الزنا فأوشك أن يصيبهم الله بعذاب ، رواه أحمد ، وقال أئمة : إذا ظهر الزنا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله ، رواه الخافق .

واسمع إليه - ﷺ - وهو يدعو إلى تطهير الأسرة من أن يخل بها الداء الربيل فيقول حين نزلت آية الصلاة : أيا أمة إذا دخلت على قوم من ليس فيهم قليل من الله في شيء ، ولن يدخلها الله جنته . وأيا رجل جمحد ولده وهو يطر إلى احتجاب منه يوم القيامة فاضحه على رؤوس الأولين والآخرين ، رواه أبو داود والنسائي وابن حبان .

وها هو ذا الصالح الجليل ابن مسعود يقول : سألت رسول الله - ﷺ - : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك . قلت : إن ذلك لعظيم ، ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم مملوك ، قلت : لم أى ؟ قال : أن ترائي

حبيلة ببارك ، رواه البخاري ومسلم ورواه الترمذي والنسائي . ويقول الله تعالى : والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا باحز . ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخله به مهانا [ الفرقان : ٦٨ ] .

وفي حديث جامع يذيع لرسول - ﷺ - ينادي على الأمة بعد مائة من ذنوب صاحبها . أى الموبقات - يقول الرسول - ﷺ - : اجتنبوا سبع الموبقات ، فمن : ١ - رسول الله وما من ؟ قال : ٢ - الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم وأكل الربا ، والنزوي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود والترمذي .

ثم اتبع إلى رسول الله - ﷺ - وهو يندبنا عن مرض من أخطر الأمراض الاجتماعية ، يعتبر الآن فاكهة الخائس بين الناس ، ومع كونها فاكهة فاسدة وحيثة بلا أن سوفها رائحة .. فما أكثر الخائس التي تقدم بها هذه الأخطاي من سلكة السامدة ألا وهي : الغيبة ! والغيبة هي ذكر أخاك بكراهة وهو غائب . وقد كان فيه ، قد غيبته ، وإن لم يكن فيه شيء . يقول سمعت الله وملائكته يقول : إن الذي يمدح يصبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين رنية يوزنها الرحمن . وإن أوفى الربا عرض الرجل المسلم ، رواه ابن أبي الدنيا . وقد أضاف أشد من ذلك : ربا وأخيت الربا : يترك غرس المسلم وحرمة .

الغيبه إنما سألناك أن تحفظ ما حفظت منه عبادك الصالحين وأصحابك السفين ، ومن الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلوة تسبيحا كثيرا .

استمع معي أغنى المسلم من هذا نداء من الخادم من نورس شربة الاجتماعية من صورة استنفاد وجواب ، ليكون الأسبوع الحكي الخافق للهمة تستير العظام . مع إليه - ﷺ - وهو يسأل أصحابه : أندرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فيما من لا درهم له ولا متاع ، فقال : المفلس من أمضى من يأتى يوم القيامة بصلاة وركعة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسنة ، وهذا من حسنة ، فإن فئت حسنة قبل أن ينفضي ما عليه ، وأخذ من خطاياهم فطرحه عليه ، ثم طرح في النار ، رواه مسلم والترمذي .

وفي حديث جامع آخر يقول - عليه السلام - : « خمس ليس لمن كفارة : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وبيت مؤمن ، والفرار من الزحف ، وبين صبرة يقطع بها مالا بغير حق » رواه أحمد .

فإذا استقرأنا أحاديث الرمولى - عليه السلام - في الفاكهة القادمة التي غلبت بها الجوى ، وسودت صفحت العباد عند الله ، وعتكت الأسرار ، وأنشأت مستور الأمور ، وانتزت على الناس كذباً وبهتاناً .. فدا على السائح التي تستطيع أن تخرج بها من مجموعة هذه الأحاديث ؟

يقول الأستاذ مصطفى محمد عمارة : إنها ست عشرة نتيجة تخرجها الغيبة على صاحبها :

- ١ - يرتكب حراماً .
- ٢ - فعل ما هو أكثر عقاباً من الربا .
- ٣ - استطعم لحم أخيه وأساغه .
- ٤ - لم يرفع صوماً .
- ٥ - كأنه أكل ما هو أنثى من الخبيثة .
- ٦ - يعذب في النار بأكل التبن القفار .
- ٧ - لا يغفر الله له حتى يعفو عنه الثغاب .
- ٨ - يقال عقاب الله في تجره .
- ٩ - تذعب أنوار إيمانه .
- ١٠ - يقابل الله بلا حسنة وعجلاً بالحطاب .
- ١١ - يستمر عقابه في النار .
- ١٢ - يذوب جسمه حتى يحقق غيبته .
- ١٣ - لا يجد لفعاله فدية (أى كفارة) .
- ١٤ - يشرب شرب عرق أهل جهنم .

١٥ - يحس على فطرته جهنم مدة طويلة .

١٦ - لا ينصره الله ، ولا يساعده دنيا وأخرى .

أعلمت يا أخى الأسباب الدينية والأغراض الخفية ، التي تدفع صاحبها إلى الغيبة ؟  
يجيب على هذا السؤال حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله فيقول :  
اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أحاك بما يكره لو بلغه : سواء ذكرته بنفسك في بدن ، أو نسيه أو في خلقه . أو في فعله ، أو في قوله ، أو في دينه . أو في دنياه ، حتى في ثوبه ، وداره ، ودابته .

أما البدن : فكزكرك العيش والحول والقرع ، والتقصير ، وسواد ، والصفرة ، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكره كيفما كان . وما النسب : فبأن تقول : أوه نطى ، أو خسيس ، أو شيء مما يكرهه كيفهما كان . وأما الخلق : فبأن تقول : هو سيء الخلق ، بخيل ، متكبر ، وراء شديد الغضب ، حيائ ، عاجز ، ضعيف القلب ، منور ، وما يجرى مجراه ، وأما في أفعاله المتعلقة بالدين ، فكقولك : هو سارق ، أو كذاب ، أو شارب خمر ، أو حشن ، أو ظالم ، أو متهاون بالفساد ، أو ركة ، أو ذا نقص الركوع ، أو السجود ، أو لا يحرص عن النجاسات ، أو يس بار بوالديه . أو لا يضع الزكاة موضعها ، أو لا يحسن قسمتها ، أو لا يحرص صومه عن رفث والغيبة والعرض لأعراض الناس .

وأما فعله المتعلق بالدنيا : إنه قبيل الأدب ، متهاون بالناس ، أو لا يرى لأحد من نفسه حقاً . أو يرى لنفسه الحق على الناس ، أو أنه كثير الكلام ، وكثير الأكل ، ونومه ، ينام في غير وقت النوم ، ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه ، فكقولك : إنه واسع الكم ، طويل الذيل ، وسيخ الثياب .

وذكر الغير ثلاثة أقسام : الغيبة ، والبهتان ، والإفك . فالغيبة : أن تقول ما فيه ، والبهتان : أن تقول ما ليس فيه ، والإفك : أن تقول ما يبلغك .

ثم يستطرد الإمام الغزالي قائلاً : والأسباب الباعنة على الغيبة هي :

- ١ - أن يشفى الغبط .
- ٢ - موافقة الأقران ، وبجاملة الرفقاء ، ومساعدتهم على الكلام .



٣ - أن يتشعر من إيمان أنه سيفعله ، ويطول لسانه عليه ، أو يذبح حاله عنه  
عنده أو يشهد عليه بشهادة .

٤ - أن يتشب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله .

٥ - إرادة التصنع والمباهاة .

٦ - الخسدة : فيريد زوال نعمة من هو أحسن منه .

٧ - النعب ، والفزل ، والمطاية ، ونرجية الوقت بالمسحك . فيذكر عيوب غيره  
بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ، ومنشؤه التكبر والعجب .

٨ - السخرة والاستبراء والاحتقار له .

وجعل جلال الله إذ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْبِرُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ . إِنَّ بَعْضَ  
الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَنُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ  
مِمَّا كَرِهْتُمُوهُ . وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ المجرات : ١٢ ] .

### ● وقفة اعتبار وعظة ●

وبعد هذا الحشد السيوف من الأحاديث الشريفة ، وهذه الإنذارات الحاسمة  
للمخالعة ، نجد إرثاً غالياً أن نقول : إن الإعراض عن ذكر الله سبحانه لنا جلياً في  
الحسين : أنهم عصت أوياها وكانت نساء ربها ، وهذا ما ذكرناه من دروس القرآن  
مكره ، وهو يفض علينا من أنباء ما قد سبق ، وينبئ جل جلاله من ذلك : ﴿ تِلْكَ  
غُرَى نَقْصِ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَائِهَا . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَلَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا مَا  
كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ . كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْكَافِرِينَ . وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ  
عِلْمٍ . وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لِنَاسِئِينَ ﴾ .

وإذا كان الرسول - ﷺ - قد سبق لنا هذا الحشد الكبير من الإنذارات  
وإسحيات من دروس التربية النبوية ، فإنه بين لنا صورة أخرى من صور الإعراض  
عن ذكر الله ، وهي اقتراف المعاصي ، وفعل الموبقات . كما ذكر في الأحاديث الشريفة  
سابقة لرسول الله - ﷺ - . وكلا الإعراضين في صورته يخبر به الإسلام وبه  
عن الوفرة فيه . لأن الإنسان العقل هو الذي يعتبر حال الماضي من دأبه ، ويأخذ  
من أحداثه عظة ودرساً : ﴿ أَوَلَمْ يَلِدْهُمْ كَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قُرُونٍ يَمْسُونَ  
لِي مَسَاقِمِهِمْ إِنَّ لِي ذَلِكَ لَأَبَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ [ سجدة : ٢٦ ] .

وهكذا يستمر الكتاب حريص في استساج العور أحداث أم أدرجت في أكفاله  
فسر ، وأشعها العذاب ، فدواها في دنة خارج . أصح أن تقول الله تعالى تعظيماً على  
ما حدث لقوله أود : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مَا آتَيْنَا قَوْمَهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ . ثم أصح التعقيب  
في سورة العنكبوت على أنفسه نفسها : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ  
الْأَلِيمَ ﴾ [ العنكبوت : ٣٧ ] . وكذلك في سورة القمر [ القمر ] يعقب على ما حدث لقوم  
سوح : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَّدَكْرٍ ﴾ [ القمر : ١٥ ] . ثم اقرأ سورة  
[ شعراء ] بعد تعقيب القرآن على أحداث الأمم بعدما حل بها ما حل من عقاب الله  
تجد هذه الآية شاذي وتقول : ﴿ إِنَّ لِي ذَلِكَ لَأَيَّةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ  
رَبَّكَ لَمُرُّ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ .

له إن الإذاعة الربانية لا تفك تحدر وتنبؤ : ﴿ أَفَأَمَّنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا

يأتا وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتهم بأسنا ضحى وهم يلبسون ألبانهم  
مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أو لم يهد للذين يرثون الأرض  
من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴿  
[الأعراف : ٩٧ - ١٠٠] .

إن الإنسان أعمى وهو يتفكر مع الحوادث في المنهج القرآن الرائع لا يستطيع أن  
يتفكر قلبه من الحقائق وأعصابه من الرعدة وحواسه من الفسفرة التي نشأه : أحداث  
جسم ، وعبر عظام ﴿  
إن ربك لبالرصاد ﴿ [النجم : ١٤] . ﴿ فكلا أخذنا بذنبه  
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من ضلنا به  
الأرض ، ومنهم من أغرقنا . وما كان الله ليعذبهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿  
[المنكوث : ٤٠] .

وجل جلال الله إذا يقول : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض  
عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى ﴿ [طه :  
١٢٣ - ١٢٤] .

وهكذا يكون الصلح مع الله . هو طريق النجاة .

فالتفكير احسانا لأحسن الأعمال فإنه لا يهدى لأحسانها إلا أنت . ونبت قدرتنا على  
الإيمان والإسلام ، فإنك بالإجابة جدير وعلى كل شيء ، قدبر وصلى الله على سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه وسلم .

من النتائج المترتبة على الإعراض عن ذكر الله : معسر المعرض يوم القيامة . كذب .  
يخسر بين الناس ، وماذا يقول ، وبأى شيء يرد عليه .

كانت النتيجة الأولى المترتبة على الإعراض قوله جل شأنه : ﴿ نقبض له شيطانا  
فهو له قرين ﴿ [الزخرف : ٣٦] ، وجاءت النتيجة الثانية وهي قوله جل شأنه :  
﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴿ . وما نحن أولاء أمام أخطر النتائج المترتبة على ذلك ، وهي  
موقفه من الحشر يوم يقوم الناس لرب العالمين . ذلك لأن النتائج الماضية كانت في  
دار الدنيا .

أما هذه النتيجة : فبني دار الآخرة التي لا نهاية بعدها ، وفي يوم وصفه الله بأوصاف

تتخلع ما القلوب ، وتتفكر من هوذا النفوس : ﴿ وانظروا يوما ترجعون فيه إلى الله .  
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿ [البقرة : ٢٨١] . ﴿ فكيف يد  
جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿ . ﴿ فكيف  
تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا . السماء منفطر به ، كان وعدده مفقولا ﴿  
[الزلزل : ١٧] . ﴿ يأتئها الناس انظروا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم  
نرونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس  
سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ﴿ [الحج : ٢] .

إنه العظمة الكبرى : ﴿ يوم يندكر الإنسان ما سعى ﴿ [النازعات : ٣٥] . وبه  
الصباحة : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنه . لكل امرئ منهم  
يومئذ شأن يغيه ﴿ [عيس : ٣٥] . وإنه الساعة : ﴿ بل كذبوا بالساعة ، وأعداء  
من كذب بالساعة سعيرا ﴿ [الفرقان : ١١] . وإنه الحاقة : ﴿ وما أدراك ما  
الحاقة ﴿ [الحاقة : ٣] . وإنه النازعة : ﴿ وما أدراك ما النازعة يوم يكون الناس  
كالفرش المبثوث . وتكون أجنال كالعهن المنفوش ﴿ [النازعة : ٥] . وإنه العاشية  
﴿ هل أتاك حديث العاشية ﴿ [العاشية : ١] . وبه يوم الحسرة : ﴿ وأنذرهم يوم  
الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴿ [مرء : ٣١] . وإنه يوم  
البعث : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثت في كتاب الله إلى يوم البعث  
فهذا يوم البعث ﴿ [الروم : ٥٦] . وإنه يوم الآفة : ﴿ وأنذرهم يوم الآفة إذ  
القلوب لدى الخاخر كاطمين . ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يوم حادثة الأعر  
وما تحصى الصدور ﴿ وإنه اليوم الموعود : ﴿ والنساء ذات البروج واليوم الموعود ﴿  
[البروج : ١٣] . وإنه اليوم الآخر : ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴿  
[النساء : ٥٩] . وإنه يوم التلاق : ﴿ لينذر يوم التلاق . يوم هم يارزون . لا يخفى  
على الله منهم شيء . لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . البرء تجزى كل نفس بما  
كسبت . لا ظلم اليوم ، إن الله سريع الحساب ﴿ [غافر : ١٧] . وبه يوم الوعيد :  
﴿ ونفخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد  
كنت في غفلة من هذا ، فكشفا عنك غطاءك ففصرك اليوم حديد ﴿ [ق : ٢٢] .  
وإنه يوم الناد : ﴿ ويقوم إلى أخاف عليكم يوم الناد . يوم تولون مالكم من الله  
من عاصم ، ومن يضل الله فسا له من هاد ﴿ [غافر : ٢٢] . وبه يوم القيامة :

﴿ لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ [ الفاتحة : ١ - ٢ ] ، وانه يوم العرض على شئ : ﴿ وعرضوا على ربك صفاء ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ [ الكهف : ٤٨ ] .

أسماء تعددت سمي واحد ، وما ذاك إلا لعظم هولاء ، وكبر شأنه ، وحليل حفره . وعظيم ما سيجرى فيه .. إنه اليوم الذي سيقف فيه الإنسان أمام محكمة العدل الإلهية الكبرى ، ليسأل عما قدمت يداه : ﴿ فوريك لسؤالين أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ [ الحجر : ٩٢ ، ٩٣ ] ، ولا حجة ولا عذر : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتزون ﴾ [ الإسراء : ٣٥ ، ٣٦ ] .

لقد حفت الأقلام ، وضربت الصحف .. إن قلت : لم لم يسألوا هذا اليوم وبذلك الضاحكة ؟ فالإندثار نقره في صلاتك . في كل ركعة ، وفي صلاة الكتاب : « مالك يوم الدين » . فإن قلت : فهل أستطيع أن أحضر اليوم شهوداً ؟ كان الجواب : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفى الله دينهم الحق . ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ [ البور : ٢٤ ، ٢٥ ] . مرة كنت : هل أستطيع أن أؤكل من يدفع عني ؟ كان الجواب : ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ [ البقر : ١٣ ، ١٤ ] . فإن كنت : هل أستطيع أن أمتألف الحكم ؟ كان الجواب : ﴿ والله يتحكم لا يعقب حكمه . وهو سريع الحساب ﴾ ﴿ ما يدل القول لدى وما أما بظلام للعبد ﴾ .

ولسوف معرض عليكم نماذج من الأسئلة أحضرها لنا سر الله عند - حاشا - لتكون على عهد بها في الدنيا ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا حيلة ولا شفاعة ﴾ ﴿ ﴿ من قبل أن ينشأ يوم لا مرد له من الله ﴾ ، وحتى نستعد بمحاجة عن هذه الأسئلة وتعمل ما ، سيقول لك الحاكم الأعلى : « شياك من أبله ؟ وعسرك من أبله ؟ ومالك من أبله ؟ وكيف أتفتته ؟ وعلمك ماذا صنعت فيه ؟ وسيفول لك حاكم الأعلى جيل في علاه : عبيد مرضت فلم تعدن ، وتقول : وكيف أعودك وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول لك : مرض عبيد فلا فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ عبيد ! استطعتك فلم تطعني ، وتقول : وكيف أتعمت وأنت

الله رب العالمين ؟ فيقول لك : استطعتك عبيد فلا فلم تطعني . أما علمت أن لو أنطعته لوحدت ذلك عبيد ؟ عبيد ! استطعت فلم تطعني ، وتقول : وكيف أتعمت وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول لك : ولانا : مستعصاك عبيد فلا فلم تطعني . أما علمت أنك لو سقيته لوحدت ذلك عند .

فهل أحسرت الجواب على هذه الأسئلة ؟

إن اليوم عدل ولا حساب ، وعدا حساب ولا عمل ، ويوم تتسبر الصحف عن أعيان سبكون مشهنا ملينا بأخوف والجلال .. فما هو من يأخذ الكتاب يمينه يصيح ﴿ هاؤم اقرأ كتابك ﴾ وما هو ذا الذي يأخذ الكتاب بشبهه ينزل : ﴿ يا ليتني لم أرت كتابك ﴾ ويقول الأول : ﴿ إلى فلئت أن ملاقي حسابك ﴾ [ الخاق : ٢٠ ] . ويقول الثاني : ﴿ ولم أدر ما حسابك ﴾ [ الخاق : ٢٤ ] ، ويكون مصير الأول : ﴿ فهو في عيشة واعية ، في حجة عالية ، فطرفها ذانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ [ الخاق : ٢٤ ] . ويكون موقف الثاني وحسرة حيث لا يسع الندم .. ولا تليد الحسرة : ﴿ يا ليتني كانت القاصية ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانك ﴾ [ الخاق : ٢٤ ] . ويكون مصيره : ﴿ حذره فعلوه ، ألم الحميم صلوه . في سلسلة ذراعيها سبعون فراساً فأسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحضر على طعام المسكين ﴾ [ الخاق : ٣٥ ] .

ثم يأتي العذاب سوحه : النسيان والجساق : ﴿ فليس له اليوم هاهنا حميم ﴾ [ الخاق : ٣٥ ] . هذا عذاب النفس ، وما أنتد وفعه وأنه ولوعت ! إن الفوائد ليستصير عندما يسبح هذه الآية ، وإن النفس لتسيل مرارة لوفعها .. ثم يأتي العذاب الجساق ﴿ ولا طعام إلا من غسلين ، لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ [ الخاق : ٣٧ ] .

وإن هذه السورة - [ سورة الخاق ] في آياتها الخاصة القاسية ، الشديدة القوارع الفاعلة الزارر - لتذكرن بموقف عمر رضى الله عنه إذ يقول : أول ما دخل الإسلام في قلبي سمعت رسول الله - ﷺ - يقرأ من سورة [ الخاق ] ، فقلت في نفسي : إن هذا الكلام كلام شاعر ، فإذا هو بقرأ أمرها ﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ [ الخاق : ٣٥ ] .

## الاعتبار بأهوال القيامة

إليك أخى المسلم قول رسول الله ﷺ - في موعظة له بآخر من أمر - يوم القيامة :

نقل حديث رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي يقول صيرت ربى ربهم عليه : « يأتونها الناس : إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا » ﷺ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﷻ [ الأنبياء : ١٠١ ] . ألا وإن أول الحشر يكسى : إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سبجاء برجال من أمي فيزغدهم ذات النخل فأقول : يا رب : أصحائي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول : كم ذن العبد الصالح : ﷻ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتي كنت أنت الرب عليهم . وأنت على كل شيء شهيد . إن تعدبهم فأبهم عبادك . وإن تغفر لهم فبست أنت العزيز الحكيم ﷻ [ المائدة : ١١٧ ] . قال : فيقال : لى إنهم لم يزالوا مرتدين من أعقابهم منذ فارقتهم !

- ما أهول هذا اليوم ، وما أشد خطره على النفس إذا خالفت وانحرفت . فبهم أولاء قوم غيروا وبدلوا بعد رسول الله ﷺ - فلم يسمع بتدبرهم في هبة المطاف إلا أن فوض الأمر إليه : ﷻ إن تعدبهم فأبهم عبادك . وإن تغفر لهم فبست أنت العزيز الحكيم ﷻ [ المائدة : ١١٨ ] .

وتأمل معنى ختام هذه الآية وتذنبها ، وكيف حننت بالعرفاء بحكمة . . . لا يفدر على العذاب إلا العزيز الذي لا يحب ولا يقهر فإذا ما غفر وعفا : فسغفرته وغفوه لا عن طريق العيب ، وإنما هو مقتضى الحكمة الإلهية المطلقة ، فمعنى التذليل بسببه لسباق الآية ، فماذا كان جواب الله ؟ قال تعالى : ﷻ هذا اليوم نرفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ووصوا عنه ، ذلك الفوز العظيم ﷻ [ المائدة : ١١٩ ] .

فقلت في نفسي : إنه قول كاهن ، فسمحته بقرأ في آخرها : ﷻ ولا يقول كاهن ، قليلا ما تذكرون ﷻ [ المارج : ٤٦ ] ، فقلت : إنه قول محمد ، فسمحته بقرأ ﷻ تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين فما عنكم من أحد عند حاجرین ﷻ [ ٤٣ - ٤٧ ] .

وكانت الخيرة الأولى من فجر إسلام الفاروق قد أخذت تملأ أفق قلبه . وتعزو بأصواتها الآلى أعصابى نفسه : فيبعد أن كان جبار الجاهلية أمر الله به الدعوة فأصبح عملاق الإسلام . إنه القرآن الذى أخرج أمما من ظلمات الجهالة إلى نور العلم ، وهبت به شعوبا من مورتها لتفود سنية العالم الخائرة في خضم المحيط إلى بر النجاة .

اللهم آت قلوبنا تقواها وزكها أنت خير من زكها . وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## يا ابن آدم

أنت الذي ولدتك أمك باكيا والناس حولك يضحكون سرورا  
فأعتمد إلى عمل تكون إذا بكرا في يوم موتك ضاحكاً سرورا

ماذا يكون موقف المعرض عن ذكر الله إذا جمع بين عصى حشر وعصى الحيرة ؟  
وماذا يكون موقفه من قول الرسول - ﷺ - : « يتعثر الناس يوم القيمة على أصناف ثلاثة : صنف مشاه ، وصنف وكنا ، وصنف على وجوههم » . قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتفون بوجوههم كل حذب وشوك ، يراه الترمذي فارت بين ما اشتمل عليه هذا الحديث من أصناف الناس ، ثم يادر بأن تأخذ لنفسك موقف الذين يمشون إلى الرحمن وقد أغرا محطلي ، ووجوههم - ضرة - بل ربما ناظرة .  
ومسفرة ضاحكة مستبشرة :

ديك ساعات سراع الزوال وإنما العقبى حلود المآل  
لهل تبع الخلد يا عاقلا وتشترى ديا متى والصلال ؟

ثم تصور هذا الموقف من مشاهد يوم القيمة ، والذي يقتر فيه رب المرة : فكل نفس بما كسبت رهينة : إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون : عن المجرمين ، ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نحوس مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى آتانا الدين . وما تطعهم شفاعا الشافعين ﴿ ( المائدة : ٣٨ - ٤٨ ) ﴾ .

ثم يعبر عن هذا كله من ترك الصلاة ، وإطعام المسكين ، وما يليه من الخوض مع الخائضين والتكذيب بيوم الدين . يعبر عنه إعراس عن التذكير يقول : ﴿ فما لهم عن التذكير معرضين ﴾ ( المائدة : ٤٩ ) ، ثم تأتي العدة المشحونة لتصور الموقف الذي يلي هذا فإذا هو مرعب ومؤسف ومحرر : ﴿ كأنهم حمر مستطرفة ، فرت من قسوة ﴾ . تصور : مجموعة من الحمر تهر أمام أحد شحج مقدم ، ماذا يكون شدة

نغورها ؟ إنه من الشدة يمكن أن يسامى ، فهلا وقتت على هذه حقائق ؟ هلا كنت من المسلمين ، ومن الذين يطعمون المسكين ؟ وهلا احتسبت الحور مع الخائضين ؟ وهلا صدقت وأبليت بيوم الدين ، وظننت على هذا حتى أتاك الموت والوعد اليقيني ؟

إن كنت يا أحى قد رفيت بكل هذا فقدم الشكر لله وقل : اللهم ما أصبح من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر . وإن كنت مقصرا في أحد هذه الأمور فلا تلومني إلا نفسك ، ودد بالجميل الصالح كما قال السيد الخليل سيدنا رسول الله - ﷺ - : « ما دروا بالأعمال الصالحة سيم هل تنظرون إلا لقرا سببا ، أو غنى مطعيا ، أو مرضا مضيدا ، أو حرما مضيدا ، أو موتا محمضا ، أو الدجال ، فشر غالب ينتظر أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر ، وفيت عند قول رسول الله - ﷺ - : « أو موتا محمضا » ، وتصور حيث وهو يفتل على ابن آدم لمسكين الفقشاش السباع القترسة على فريستها ، ثم يقله بعد الغذاء : والبضارة وروث الحياة والتسم في طيب رواتنها . يقله تحت أدنى الثرى حيا مامدا ورقانا سحيقا ، وصعيدا جبرا . ما هذا امر ؟

أنسيت القبرور قناديتها فأين المعظم رخنقور ؟  
وأبسر المدل سلطانك وأين الموكي إذا ما افتخور ؟  
والجرب

تساورا جميعا فما نخير ومانوا جميعا ومات الخير  
تروج وتغدوا بسات المزي فخصو عاسن تسمت الصور  
فيا سائل عن أناس مضرا أمالك فيما مضى معتبر ؟

يا الله ! يا الله ! إنه رهيب ! ماذا بعد الموت ؟ الفير إما روضة من رياض الجنة وإما حجرة من حفر النار ! فله أعددت الزاد لليلة صبيحتها يوم القيامة ؟ وهلا استمعت يا رسول الله - ﷺ - حيث يقول : « تجمعون يوم القيامة فيقال : أين فقراء هذه الأمة وما كفيها ؟ فيقومون ، فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتلينا فصبرنا . ووليت الأموال والسلطان غيرنا ، فيقول الله عز وجل : صدقم ، قال : فيدخلون الحلة قبل الناس ، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان . قالوا : فأين

## الختامة

### بم يكون الصلح مع الله ؟

أردت أن أختتم هذه الصفحات التي اشتغلت على هذه الموضوعات بهذه الخاتمة  
رسلاً لله أن يجعلها مسكناً . وأن يحري نبياً محمداً - ﷺ - غير ما حير  
نبياً عن أمته . فهو الذي عرف الطريق إلى الله ، وأصر - بساوك خير نطق ، ورسد  
أماما الطريق المستقيم ، وهو أقرب صلة بين نطقين .  
بـرسول الله :

أنت الذي لما رفعت إلى السماء	بك قد سميت وتزيت لسراك
أنت الذي ناداك بك مرحبا	ولقد دعاك لقربه وحباك
وحفظت دين الشرك بأعلم الهدى	ورفعت دينك فاستقام هناك
ماذا يقول الملاحون وما عسى	أن تجمع الكتاب من معاك
صل عليك الله يا علم الهدى	ما اشتاق مشتاق إلى مثواك

### بم يكون الصلح مع الله ؟

الصلح مع الله يكون بالعمل . والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله . وكتاب والهدى  
أشد . تحليل في جامعة الإسلام العظمى ، وقد اشتمل كل منهما على أحكام الله .  
وعلى وعده ووعدته ، وأمره ونهيه ، وقصص السالطين ، وآيات العقيدة ، وغير ذلك  
من الحقائق العلمية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية مما  
يضمن للبشرية سعادتها ورفاهها . ولذلك أحييت أن أذكر طرقاتاً من قده سيد البشرية  
رسول الله - ﷺ - في شأن القرآن العظيم والعلم به . وإذا كان رسول الله  
- ﷺ - يهضم القرآن ويحييه ، فإن القرآن - بدوره - يأمرنا بتبليغ رسول الله  
- ﷺ - . وهذه .. قال جل شأنه : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبوني يحبكم الله  
ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ من يطع الرسول فقد  
اطاع الله ﴾ .

المؤمنون يومئذ : قال : توضع لهم كراسي من نور ، وبظلال عليهم الغمام ، يكون ذلك  
اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار .

هلا أعدت الزاد ليوم يقول الله فيه : « أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم بظل  
يوم لا ظل إلا ظلي » ؟ هلا أعدت الزاد ليوم يقول الله فيه : « أين أهل الفضل ؟  
فيقومون - وهم يسرون - فيقال لهم : ادخلوا الجنة سراعاة ، فقول لهم الخلاق : لم  
تسرعوا إلى دخول الجنة ؟ فيقولون لهم : لأننا أهل الفضل ، فقول الخلاق : وما  
فضلكم ؟ فيقولون : كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسيء إلينا حلمنا ، فيقال لهم :  
ادخلوا الجنة ، فنعلم أجر العاملين ؟ ! » .

إن الخوف من القيام بين يدي الله في الحاسب ردى في القوس شدة الرقابة لربهم  
فخشيت أن تتفرد معاصيه ، وجعلت رقابة الله خير وازع يمنعها من الوقوع فيما  
يعضبه ، ويوم تسمى القوس هذا اليوم وما فيه وما سيحجرى في ساحتها .. فإنها تفضل  
وتستفي .. أو ما سمعت إلى هذا المشهد القرآني بلفظ الثلاثة على قوم عصوا الله ،  
لأنهم نسوا هذا اليوم ؟ قال جل شأنه : ﴿ ربي للمطففين - الذين إذا أكلوا على  
الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون  
ليوم عظيم - يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ [ المطففين : ١ - ٦ ] .

قم لي الدجى واضرع إليه وناده يا عالما بعباده وخيرا  
فلفد عرفك سائرا وغفورا  
إن لم أكن أهلا لعفوك : سيدي

إن الله يسطر هذه بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسطر هذه بالنهار ليتوب مسيء  
الليل . انتهى : إن لم أكن أهلاً ليلوغ رحمتك ، فإن رحمتك أهل لأن تبغضني ، فأنت  
القاتل : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [ الأعراف : ١٥٦ ] ، وأنا شيء ، فلنستضي  
رحمتك .. إن باب الله يقبل المظلومين ويعفو عن المذنبين . فأين طريق النجاة ؟ الصلح  
مع الله هو طريق النجاة .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال عز من قائل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، وانفروا  
 الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

استمع إلى سيدنا رسول الله - ﷺ - يبين خبر الناس فيقول : « خيركم من تعلم  
 القرآن وعلمه » .. ثم استمع إن فضل تلاوة هذا الكتاب وما أعدّه الله تعالى من الأجر  
 العظيم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول  
 (آلم) حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من استمع إلى آية من كتاب الله كحيت له حسنة  
 مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة » .

ثم اعجب هذا الفضل العظيم الذي احتض الله به من شغل بالقرآن عن مسألة الله ..  
 يقول - عليه الصلاة والسلام - : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن  
 مسألة أعطيت أفضل ما أعطى السائلين : وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل  
 الله على خلقه » .

ثم انظر إلى فضل الله تعالى وكيف أعطى المتبع بالقرآن الذي نشق عليه الفداء  
 أعطاء آخرين ، إذ أن الثواب على قدر الشقة . قال رسول الله - ﷺ - : « الشاهر  
 بالقرآن مع السفرة الكرام البررة . والذي يقرأ القرآن ويتبع فيه وهو عليه شاق :  
 له أجران » .

وقد قال أبو ذر لرسول الله - ﷺ - : أوصني ، قال : « عليك بتقوى الله فأبها  
 رأس الأمر كله » ، فقلت : يا رسول الله ردي ، قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنه  
 نور لك في الأرض وظاهر لك في السماء » .

فاللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وسلاماً لما وُهبنا حرمنا .  
 والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك

## المهرس

### الموضوع

### الصفحة

مقدمة .....	٥
طريق النجاة .....	٥
القرآن العظيم وأثره في العمر .....	١
الفتاوى الإلهي العادل .....	١
صحف إبراهيم عليه السلام .....	٤
طريق المسلمين الأوائل .....	٧
أثر العقيدة في حياة المسلم .....	٢١
هذه الروح انتصر المسلمون .....	٢٧
القرآن يحد من الحراف الفوق النفسية .....	٣٠
لقرآن طريق العصمة من حيلولة الشيطان .....	٣٣
لقرآن وأثره في سلوك المسلم .....	٣٧
لقرآن وأثره في تربية الأخرى .....	٤٢
عواقب الإغراق عن ذكر الله .....	٤٦
توجيهات ربانية .....	٥١
من أعرض عن الله ملك طريق الشيطان .....	٥٦
الهداية الربانية لا تستعصي شئ من أرادها .....	٦١
مسالك الشيطان وأغوازه .....	٦٦
وقفة اعتبار وعظة .....	٧١
الاعتبار بأحوال القيامة .....	٨٣
يا ابن آدم .....	٨٩
الخاتمة (هم يكون الصلح مع الله) .....	٩١
المهرس .....	٩٣
.....	٩٥
.....	٩٥